

الحفصيفن

مسرتمية

للكتاب الروسي

ماكسيم جوركي

ترجمته: عبد الحليم البشلاوي

مكتبة الفنون الدرامية

تصدرها
مكتبة مصر
يحررها
عبد الحليم البشلاوي

مكتبة الفنون الدرامية

نحت الطبع:

السينما آلة وفن

للكتاب الأمريكي: ألبرت فولتون

عبد الحليم البشلاوي

صالح عز الدين

فؤاد كامل

ترجمة

مطبوعات

مكتبة مصر

دار مصر للطباعة
٢٧ شارع كوسموفسكي القاهرة

www.liilas.com

مكتبة الفنون الدرامية

(١٧)

مكتبة الفنون الدرامية (١٧)

الحضير

مسرحية

في أربعة فصول

www.liilas.com

ترجمة
عبد الحليم البشلاوي

للكاتب الروسي
ماكسيم جوركي

سبتمبر ١٩٦٢

تصدرها
مكتبة مصر
يحررها
عبد الحليم البشلاوي

مكتبة الفنون الدرامية

القصص من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة
العربية من فراغ كبير . فهي تستهدف ترجمة
روائع المسرحيات العالمية ، وكل ما يتصل بالفنون
الدرامية والاذاعية من تمثيل وكتابة وإخراج . ولعل
هذا هو أول مجهود منظم يبذل في هذا السبيل .

صدر الكتاب الأول
في أكتوبر ١٩٥٨

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صديقي - الفيحة - القاهرة

www.liilas.com

حقوق التمثيل والإذاعة محفوظة للمترجم

The Lower Depths

by

MAXIM GORKY

www.liilas.com

كتب تصدر تباعاً :

السينما آلة وفن

للكاتب الأمريكي : ألبرت فولتون

الابن الضال

للكاتب الأمريكي : جاك رتشاردسون

راشومون

للكاتب الياباني : اكوناجاوا

ابسن النرويحي

للكاتبة الانجليزية : م . برادبروك

www.lilias.com

صدر من هذه المكتبة :

- ١ - الأحرار
للكاتب الأمريكى : سدنى كنجزلى
- ٢ - الرجل العجوز
للكاتب الروسى : ماكسيم جوركى
- ٣ - بيت الدمية
للكاتب النرويجى : هنريك ابسن
- ٤ - الينبوع
للكاتب الأمريكى : يوجين أونيل
- ٥ - قطة على سطح من الصفيح الساخن
للكاتب الأمريكى : تينيسى وليامز
- ٦ - الشائعة
للكاتب الانجليزى : تشارلز مونرو
- ٧ - عيوب التأليف المسرحى
للقائد الأمريكى : وولتر كير
- ٨ - ثلاث تمثيلات للتليفزيون
للكاتب الأمريكى : بادي تشايفسكى
- ٩ - مسرحية فى القصر
للكاتب المجرى : فيرينك مولنار

هذه المسرحية

بقلم : عبد الخليم البشلاوى

لم يكن الا طفلا في الثامنة من عمره عندما رأى زوج أمه ينهال بالضرب على أمه التى كان السل ينهش من صدرها الحنايا والضلوع ، والتي لم يكن بها من الرمق ما يمكنها من الدفاع عن نفسها ، وقد تكأكت وتفوس ظهرها تضرع الى الله أن يبعث اليها ملاك الموت منقذاً رحيماً من جحيم البشر . لم يكن الا طفلا في الثامنة من عمره . ولكن المنظر كان من البشاعة والقسوة بحيث استفز ذلك الطفل المسكين فاندفع وفي يده سكين نحو ذلك الرجل الذى كان يعذب أمه المحتضرة محاولا تخليصها من قبضته . ولكن هل كانت تلك الحياة البائسة قاصرة على البيت الذى كان يؤوى ذلك الطفل ؟ لقد مضت الحياة بذلك الطفل وساقته سوقاً اليماً ليهيم على وجهه فى أنحاء روسيا ويبلو ما كان يبلوه سواد الشعب الروسى من املاق وفاقة ومسغبة ، وما كان يجرعه من كئوس المر والحنظل والعيش الدليل . مارس مهناً شتى وضيعة ، وانخرط فى سلك العمال تارة والحجاج أخرى . وبين الآن والآن كان ينضم الى جيش المتعطلين المتشردين الذين لم يكونوا يجدون المأوى أو ما يمسك الرمق . فى كل مراحل حياته ، وأيان ذهب ، كان يشهد

١٠ - الأب ومس جوليا

للكاتب السويدي : أوجست سترندبرج

١١ - صيف ودخان

للكاتب الأمريكى : تيسى وليامز

١٢ - الزواج

للكاتب الأيرلندي : جورج برنارد شو

١٣ - الحارس

للكاتب الانجليزى : هارولد پنتر

١٤ - ميراث الريح

للكاتبين الأمريكيين : جيروم لورنس و روبرت لى

١٥ - الاتصال بالجمهير

للكاتب الأمريكى : اريك بارنو

١٦ - البطة البرية

للكاتب النرويجى : هنريك ابسن

١٧ - الخضيف

للكاتب الروسى : ماكسيم جوركي

مظلمة تحت الأرض . عشرة أشخاص من المنبوذين أو ممن يسمون « حشالة » المجتمع ، خليط غريب من أحط الطبقات التي كانت تكون الغالبية العظمى للشعب الروسي في ذلك الحين . ومن بين هؤلاء العشرة امرأة يحتضرها الموت وتلفظ أنفاسها الأخيرة . ويظل شبح الموت الرهيب يخيم على الغرفة طوال الفصلين الأولين الى أن تقضى نحبها . والى هذه المسكينة يأتي الحاج لوكا فيزرع في نفسها الأمل في الحياة الآخرة حيث يفر الله لعباده ذنوبهم ويعوضهم عما قاسوه في الحياة الدنيا . يأتي هذا الحاج الى ذلك الكهف بفلسفة خاصة هي فلسفة « الكذبة البيضاء » التي ان تم تجد فهي لن تضر . فهو يبنى الناس بالمستقبل ويحضرهم على المحبة والتعاون والخير . وهو يذكرنا بشخصية الدكتور « رلنج » في مسرحية أبسن المعروفة « البطة البرية » . فاذا ماتت هذه المرأة المصدورة عجز زوجها صانع الأقفال « كليش » عن دفع ثمن الكفن ونفقات الدفن فيجد العون من رفاقه في البؤس والتشرد . وهذا « بيل » شيطان بشري ، ولص بالوراثة ، يقول عن نفسه « منذ صغرى وأنا احترق اللصوصية . لم أسمع أحداً يناديني الا بقوله « قاسيا اللص . قاسيا بن اللص » . وهذا هو « البارون » لا أحد يدري على وجه التحقيق من هو ومن أين جاء . ولكنه بالتأكيد يعيش عالية على تلك العاهر الطيبة القلب المتعطشة للحب « ناستيا » . . . الى آخر تلك الجماعة التي أذلها الفقر فهي لا تجد العمل ، ومن ثمة لا تجد القوت .

ومن ناحية أخرى نرى فريقاً آخر يتردد على ذلك القبو وان كان لا يسكنه . نرى المالك « كوستيليوث » الذي لا يتورع عن

بشراً يسامون الخسف والعسف والهوان ، ويعيشون عيشة خيراً منها عيشة البهائم والكلاب . كان يرى بشراً يعيشون وهم عاجزون عن أن يدركوا الحكمة من حياتهم . وكان يرى النساء تهان وتضرب وتضطر الى العمل ساعات طوالاً . ومن ناحية أخرى كان طغيان القياصرة وزبائنتهم شديد الوطأة لا ينقسم له قيد . فساد يستشري في كل مكان . فساد بكل أنواعه وموبقاته : تهتك واستهتار ورشوة ، وغش وعريضة وبذخ ، وفسق وميسر ، وخيانة وخنوع ونفاق . قصور وبساتين وحدائق لا يدرك البصر مداها ، واستمتاع بكل أطيب الحياة ومثلذاتها ، وانغماس في كل شهواتها . مزارع وضياع شاسعة يرثها السعيد الحظ فيرث الأرض ومن عليها . يرث « رقيق الأرض » الذين ان هم جرؤوا ففروا من استعباد المالك ، لما وجدوا من يقبلهم للعمل في مزارعه . والملايين الضائعة لا نصير لها ولا معين . الجماهير الجائعة لا رجاء لها ولا أمل . يثور الشعب فيحصده رصاص الجيش . وينفثال القيصر فيخلفه قيصر آخر تحميه حراب الجيش . فما عسى أن يفعل الشعب وهو يواجه القيصر والجيش معاً ؟ أى نوع من الحياة هذا ؟ حياة هي أم جحيم ؟ .

بل هو الدرك الأسفل . هو « الخفيض » !

هذا هو « الخفيض » الذي صورته ماكسيم جوركي في مسرحيته العظيمة التي بلغت ذروة الشهرة في دنيا المسرح والدرامة . عشرة أشخاص يعيشون كلهم معاً في غرفة كئيبة

استنزاف دماء هذه الحثالة البائسة . وثرى زوجته التي تعشق
اللص الشاب « پيل » الذي سئم حبها وهام غراماً بأختها
« ناتاشا » . وهو غرام سيذيقه حتفه في النهاية .

هذا هو الحضيض الذي يقدمه لنا جوركى في مسرحيته
الخالدة . وهو حضيض لم يستمد من قراءاته ولا من تحرياته
واستقصاءاته ، ولا حتى من مشاهداته ، وإنما هو حضيض عاش
فيه وخبره وبلاه وذاق مرارته وتجرع غصصه . هذه أحداث
عاشها الكاتب فعاشت في ذاكرته . ومن ثم كانت هذه المسرحية
التي تمتاز بواقعية من نوع معين . هي « واقعية قلبية » نابعة من
الاحساس والوجدان والقلب ، فلا نرى فيها الصنعة التي تلتزم
الخطة المسرحية والصراع والحبكة وما الى غير ذلك من الأصول
الدرامية ، وإنما نجد صورة أو قطاعاً من الحياة يعرض علينا دون
تزويق أو تنميق . لا نجد هنا « الواقعية العقلية » التي جاء بها
كاتب النرويج العظيم « اسن » عندما جعل « نورا » تختتم
مسرحية « بيت الدمية » بمغادرتها البيت لأن زوجها لم يكن
يعاملها معاملة الند للند ولم يكن يعترف لها بأية حقوق كأم وزوجة
وامرأة لها كيان ككيان الزوج ، فخرجت وهي تصفق الباب خلفها
تلك الصفقة الخالدة المدوية التي تركت رنيناً وصدى ، أو عندما
جعل « هدفيج » تطلق على نفسها الرصاص في ختام مسرحية
« البطة البرية » لكي تبرهن لأبيها على حبها له وبالتالي لا تفقد
حبه لها . لا نجد هنا الواقعية العقلية التي استحالت على يد
العبرى الفريد « شو » الى مجرد نقاش وتبادل أفكار كما هي

الحال في مسرحيته « الزواج » . لا . هذه واقعية عقلية لم يعرفها
جوركى . وإنما واقعيته - أو « طبيعته » ان شئت - هي صرخة
من أعماق قلبه باسم الملايين المحرومة من الزم ضروريات الحياة .
باسم الشعب المهيض الجناح المهضوم الحقوق الذي كان يستغيث
فلا يفاث ويستعين فلا يعان .

هذه الواقعية القلبية وهذا الصدق الوجداني هما خير عوض
عما يعوز مسرحية « الحضيض » من التزام الأصول الدرامية .
كما أن شخصياتها واضحة كل الوضوح ، شخصيات حية ،
متميزة ، لا اهتزاز فيها ولا قفلة . تصرفاتها تنبئ عنها ،
ولا يتناقض بعض هذه التصرفات مع بعضها الآخر . فنحن
نشهد على المسرح قطاعاً واقعياً من حياة الناس . نرى طائفة
حقيقية من اخواننا في البشرية نجد لهم امثالا واشباها يعيشون
هذا العيش الدليل نفسه ويحيون تلك الحياة الوضيعة بعينها في
كل ركن من أركان المعمورة ، وفي كل بلد من بلاد العالم غنياً كان
أم فقيراً ، رجعيماً كان أم تقدمياً . وذلك هو حجر الزاوية في كل
أصلاح . تلك هي نقطة الضعف التي تعانيها الانسانية . فلما قامت
الثورة كانت عاتية هوجاء ، دامية حمراء ، لم تبق ولم تذر .
كان رد الفعل على قدر الفعل !

موجز القول ان جوركى قد تسامى بالواقعية الى ذروة رفيعة
من تمجيد الانسان وحب الانسانية ، حتى لقد قال أحد الكتاب
انه « اذا كان (زولا) قد قضى حياته كلها أباً للطبيعية ، فقد كان

حرياً به أن يذهب إلى المدرسة ليتعلم أبجدية فنه عند ركبتي ذلك الشاب الذي ولد في نزني نوقجورود: (جوركي) .
وهذه الطبيعية هي التي جعلت من جوركي عوناً كبيراً لستانسلافسكي عندما أخرج هذه المسرحية لأول مرة على « مسرح الفن » بموسكو . فقد كان جوركي هو الذي يوجه الممثلين ويدربهم على أداء هذه الأدوار التي لم يكن لهم عهد بمثلها . بل إن جوركي اصطحب ستانسلافسكي وعدداً من الممثلين إلى مغارات سوق خيتروف ليروا بأنفسهم هذه الطبقة من الناس وكيف تعيش . وقد كتب ستانسلافسكي عن ذلك فيما بعد فقال « لقد شحذت هذه الرحلة خيالي وملكة الخلق عندي أكثر من أية مناقشة أو تحليل للمسرحية » .

صدرت هذه المسرحية في عام ١٩٠٢ . ولعله لا يوجد من بين جميع مسرحيات جوركي ما يضاهاها في القوة والشهرة سوى مسرحية « إيغور بولتشوف » . وهذه المسرحية التي كتبها في عام ١٩٣٢ دليل على أن أعمال جوركي المسرحية كانت الجسر الذي عبرت عليه الدراما الروسية الطريق من روسيا القيصرية إلى روسيا السوفيتية .

وهنا نحيل القارئ إلى الكتاب الثاني من « مكتبة الفنون الدرامية » الذي صدرت به ترجمة مسرحية جوركي « الرجل العجوز » فقد حوى مزيداً عن حياة جوركي ومؤلفاته .

عبد الحليم البشلاوي

يولية ١٩٦٢

« إن جوركي رجل مدمر لا بد له أن يدمر كل ما يستحق التدمير . هذا هو مسكن كل قوته ، ومن أجل ذلك استدعته الحياة » .

تشيخوف

« ما أروع الانسان ! ما أشد ما في

رئين هذه الكلمة من كبرياء . . .

الانسان ! لابد أن يكون الانسان موضع

احترام وليس موضع شفقة . فالشفقة

مهينة » .

جوركي

على لسان سائين

www.liilas.com

« كل واحد منهم يظن انه انما
يعيش لنفسه ، بينما الواقع
انه يعيش ليكمل الحياة
افضل ... » .

جوركي
على لسان لوكا

www.liilas.com

الحفیف

www.liilas.com

الشخصيات

Mikhail Ivanovich Kostilyov ميخائيل ايوانوفيتش كوستيلوف

(٥٤ عاماً) صاحب المنزل

Vasilisa Karpovna فاسيليسا كارپوفا

(٢٦ عاماً) زوجته

Natasha ناتاشا

(٢٠ عاماً) أختها

Abram Medvedev أبرام ميدفيديف

(٥٠ عاماً) خالهما (شرطى)

Vasya Pepel فاسيا پيل

(٢٨ عاماً)

Andrei Kleshch أندريه كليش

(٤٠ عاماً) صانع اقفال

Anna آنا

(٣٠ عاماً) زوجته

Nastya ناستيا

(٢٤ عاماً) من فتيات الشوارع

Kvashnya كفاشنيا

(٤٠ عاماً) بائعة كعك متجولة

Bubnov	(٤٥ عاماً)	صانع قبعات	بينوف
The Baron	(٣٣ عاماً)		البارون
Satin		كلاهما حوالى الأربعين	ساتين الممثل
The Actor			
Luka	(٦٠ عاماً)	حاج	لوكا
Alyoshka	(٢٠ عاماً)	اسكافي	اليوشكا
Krivoi Zob		من عمال المواني	كريفوى زوب التتري
The Tartar			

الفضل الأول

www.liilas.com

(قبو أشبه بالكهف . سقفه المعقود (المقوس) مسود من أثر الدخان ، وقد سقط عنه الطلاء في عدة أماكن . يهبط الضوء من نافذة مربعة في مؤخرة المسرح في أعلى اليمين . حاجز رقيق يجعل من الركن الأيمن غرفة (بيل) . بالقرب من باب هذه الغرفة مصطبة (بينوف) . فرن روسي كبير يحتل الركن الأيسر . باب في الجدار الحجري إلى اليسار يؤدي إلى المطبخ حيث ينام (كفاشنيا) و (البارون) و (ناستيا) . سرير عريض تحيط به ستائر قطنية قنطرة يستند إلى الحائط بين الفرن والباب . مصاطب (١) مبنية حول جميع الجدران . في مقدمة المسرح إلى اليسار قرمة خشبية إلى جانبها منجلة وسندان . خلف السندان يجلس (كليش) على قرمة أخرى واطئة يجرب بضعة مفاتيح في قفل قديم وقد تبشّرت حوله على الأرض حلقات مفاتيح مختلفة

(١) المصاطب المبنية في هذه الغرفة لصق الحائط تستعمل للنوم وقد آثرنا اختيار هذه الكلمة تمييزاً لها عن السرير وعن الدكة اللذين ورد ذكرهما في تقديم هذا النظر (المترجم)

وساموقار^(١) خرب من الصفيح ومطرقة ومبارد وآلات أخرى . في وسط الغرفة مائدة كبيرة ودكتان وكرسی بدون مسند ، جميعها قنرة غير مطلية . (كفاشنيا) مكتبة على ساموقار موضوع على المائدة . البارون يمضغ قطعة من الخبز الأسود . (ناستيا) جالسة مستندة بمرفقيها الى المائدة مستغرقة في قراءة رواية . يسمع صوت (أنا) وهي تسعل وراء ستائر السرير . (بينوف) جالس على مصطبته وعلى ركبتيه قالب قبة يحاول صنع قبة من قطع من القماش مأخوذة من بنطلون قديم . وبالقرب منه خرق وقطع من الشمع والورق المقوى لصنع حوافي القبعات . (ساتين) ، الذي استيقظ تواء من نومه ، مضطجع على مصطبته يزمر . الممثل يسعل ويتحرك فوق الفرن^(٢) . بحيث لا يراه النظارة)

(صبيحة يوم في أوائل الربيع)

(١) هو جهاز روسي خاص لعمل الشاي .

(٢) الفرن الروسي شبيه بالفرن المألوف في ريفنا المصري (المترجم)

البارون : وبعد ذلك ؟
كفاشنيا : قلت له لا ، لا ، يا عزيزي . قلت له لا ، لا . ابق مكانك . أنا جربت هذا فعلا ، ولن تستطيع أن تجرني أمام القسيس مرة أخرى حتى لو أعطيتني مائة من الجمبري المشوى .
بينوف : (الى ساتين) لماذا تزمجر هكذا ؟
(ساتين يزمر من جديد)
كفاشنيا : أنا ... امرأة حرة ... رئيسة نفسها ، أذهب وأقيد اسمي في جواز سفر شخص آخر ؟ أنا ... أصبح تابعة لأحد الرجال ؟ لا وحياتك . لا . حتى ولو كان هو ملك أمريكا نفسه .
كليش : كذب !
كفاشنيا : ماذا تقول ؟
كليش : كذب ! ستتزوجين أبرام !
البارون : (يشتطف الكتاب من ناستيا ويقرأ العنوان) الحب المميت ! (يضحك)
ناستيا : (تحاول استعادة الكتاب) أعطني الكتاب . هات . لا أحب هذا المزاج .
(يعاكسها البارون فيلوح بالكتاب في الهواء)
كفاشنيا : (الى كليش) أنت تيس عني دعجوز ! نعم . كذب ! كيف تجرؤ على اهاني بهذا الشكل ؟
البارون : (يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها) أنت حمقاء يا ناستيا .

أنا : لا . شكراً . لماذا اتعب نفسي بالاكل ؟
 كفاشنيا : حاولى . انه ساخن ولذيذ . سيخفف من
 سعالك . سأتركه في هذا الوعاء حتى تأخذى منه
 عندما تشائين . هيا يا لورد ! (الى كليش) بررر !
 يا غول !

(تذهب الى المطبخ)

أنا : (تسعل) يارب !
 البارون : (يدفع ناستيا في رأسها بخبت) اتركى هذا الكتاب
 يا مفقلة !
 ناستيا : (متذمرة) أخرج . أنا لا أقف في طريقك . هه ؟

(يخرج البارون وراء)

(كفاشنيا وهو يصفر)

ساتين : (ينهض فوق مصطبتها) من الذى ضربنى الليلة
 الماضية ؟
 بينوف : وماذا يهمك من ذلك ؟
 ساتين : لا شيء على ما أظن . ولكن لماذا ضربونى ؟
 بينوف : هل كنت تقامر ؟
 ساتين : نعم .
 بينوف : هذا يفسر لك سبب الضرب .
 ساتين : الأوغاد !
 الممثل : (يطل برأسه من فوق الفرن) سيضربونك حتى
 الموت في يوم من الأيام .

ناستيا : (تنتزع منه الكتاب) اعطنى الكتاب .
 كليش : يالك من سيدة رائعة ! ولكنك مع ذلك ستتزوجين
 أبرام . هذا هو كل ما تنتظرينه .
 كفاشنيا : نعم ، نعم بالطبع . وماذا غير ذلك ؟ كما سقت أنت
 زوجتك الى الموت ؟
 كليش : اخرسى يا كلبة ! ليس هذا من شأنك .
 كفاشنيا : أوهو ... ! لا تحب أن تسمع الحق ؟ هه ؟
 البارون : ها هما يبدآن . ناستيا ! ألا تسمعين ؟
 ناستيا : (دون أن ترفع رأسها) أوه ، أخرج من هنا .
 أنا : (تظل برأسها من خلف الستائر) طلع النهار .
 بالله لا تصيحوا ! لا تتشاجروا !
 كليش : عادت الى الأئين .
 أنا : كل يوم من أيام الله المباركة ! دعونى على الأقل
 أموت في سلام !
 بينوف : لاتستطيعين أن تبعدى الموت بالتقليل من الضجة .
 كفاشنيا : (متجهة نحو أنا) كيف تعيشين مع هذا الشيطان
 يا عزيزتى المسكينة ؟
 أنا : دعينى في حالى . اذهبنى عنى .
 كفاشنيا : هيه ! ستموتين شهيدة . هل تحسن صدرك
 اليوم ؟
 البارون : كفاشنيا . حان وقت الذهاب الى السوق .
 كفاشنيا : لحظة واحدة (الى أنا) ألا تحبين بعض الكعك
 الساخن ؟

- ناستيا : (ذاهبة الى المطبخ) لم يبق الا هذا !
- كفاشنيا : (عند باب المطبخ ، تخاطب البارون) تعال . سيدبرون أمرهم هنا بدون مساعدتك . ايه ، أنت يا ممثل . لقد طلبوا منك أنت ، فكن لطيفاً . لن يكسر الكنس ظهرك .
- الممثل : هيه ! دائماً أنا ! لا أدري لماذا ...
- البارون : (يدخل من المطبخ تتدلى من على كتفيه سلتان مملوءتان بأوان فخارية مغطاة بخرق قنطرة ، السلتان معلقتان بعصا خشبية بحيث تبدو الثلاثة على شكل الخرج) أثقل من المعتاد اليوم !
- ساتين : أمن أجل هذا ولدت (بارون) ؟
- كفاشنيا : (للممثل) ابدأ الكنس ، الآن . (تهم بالخروج ، ولكنها تدع البارون يخرج أولاً)
- الممثل : (ينزل من على الفرن) استنشاق الفبار يضرني (بكبرياء) ان أنسجة جسمي مسممة بالكحول (تتنابه حالة هم وتفكير ، ويفوص جالساً على احدى المصاطب) .
- ساتين : الأنسجة ... النسيج .
- أنا : أندريه متريتش ...
- كليش : والآن ، ماذا تريدان ؟
- أنا : كفاشنيا تركت لي بعض الكعك . خذه وكله .

- ساتين : أنت حمار !
- الممثل : لماذا ؟
- ساتين : لأن الانسان لا يموت مرتين .
- الممثل : (بعد فترة صمت) ولماذا لا ؟ لا أدري لماذا لا ؟
- كليش : (للممثل) انزل من فوق هذا الفرن ورتب الغرفة . أم تخشى أن تلوث يديك ؟
- الممثل : ليس هذا من شأنك .
- كليش : انتظر حتى تأتي فاسيليسا فتريك شأن من هو .
- الممثل : لتذهب فاسيليسا الى جهنم ! الدور اليوم على البارون ليرتب الغرفة . يا بارون !
- البارون : (داخلاً من المطبخ) لا وقت لدى لترتيب الغرفة . أنا ذاهب الى السوق مع كفاشنيا .
- الممثل : وأنا مالي . تستطيع أن تذهب الى السجن ان شئت . ولكن اليوم دورك لكنس الغرفة . لن أقوم بعمل شخص آخر .
- البارون : اذهب الى جهنم ! ناستيا ستكنس الغرفة . ايه ، « الحب المميت » ! اصحى ! (يهتظف الكتاب من يديها)
- ناستيا : (تقف) ماذا تريد ؟ أعطني الكتاب . ظريف ، هه ؟ وتسمى نفسك چنتلمان ؟
- البارون : (يعطيها الكتاب) اكسي الغرفة عنى يا ناستيا . أنت فتاة طيبة .

سائين : على سبيل المزاح . لقد سئمت كل هذه الكلمات
التي يستعملها الناس . سئمت كل الفاظنا . فقد
سمعتها كلها ألف مرة .

الممثل : في مسرحية « هاملت » يقول الممثلون : « كلمات ،
كلمات ، كلمات » مسرحية رائعة ! قمت فيها بدور
حفار القبور .

كليش : (داخلا من المطبخ) ومتى تبدأ في دور الكناس ؟
الممثل : كن في حالك ! (يدق صدر نفسه بيده) « أوفيليا !
أيتها الحورية ! الا فلتظل ذنوبى كلها بادية في
الأفق » .

(من على مبعده خارج المسرح تسمع أصوات

مختلطة وصيحات وصفارات الشرطة . ينكب
كليش على عمله محدثاً صوتاً حاداً بمبرده) .

سائين : أحب الكلمات الغريبة الغير المفهومة . عندما كنت
صبياً اشتغل في أحد مكاتب التلغراف ، كنت
أقرأ كثيراً .

بينوف : اذن فقد كنت عامل تلغراف ايضاً ؟

سائين : نعم (يضحك ضحكة صغيرة) الكتب القيمة
قليلة ، والكلمات الغريبة كثيرة . لقد كنت في يوم
من الأيام رجلاً متعلماً خير تعليم . هل عرفت
هذا ؟

بينوف : سمعت هذا مائة مرة . وايه يعنى ؟ ما قيمة هذا

كليش : (يتجه اليها) وانت ؟ الا تريدينه ؟
أنا : لا . لماذا آكل ؟ أنت رجال شغال . في حاجة الى
غذاء .

كليش : هل أنت خائفة ؟ لا تخافى . فمن يدري ؟ ربما ...
أنا : هيا ، كلها . أنا مريضة جداً . لا اظن ان الوقت
يطول بعد الآن .

كليش : (يهم بالخروج) لا تحزنى . ربما تتحسن صحتك .
هذا يحدث في بعض الأحيان (يذهب الى المطبخ) .
الممثل : (بصوت عال كما لو كان قد أفاق فجأة) امس
قال لى الدكتور في العيادة « أنسجة جسمك
تسمت تماماً من الكحول » .

سائين : (مبتسماً) منسوجات .
الممثل : (في اصرار) لا تقل (منسوجات) (أنسجة) .

سائين : منسوجات !
الممثل : (يلوح بيده في وجهه) عبيط ! ولكن كلامى جد .
نعم ، جد . اذا تسمت أنسجة جسمك ، فان
كنس الأرض يضرك . يضرك استنشاق هذا
الغبار .

سائين : مكروبات حية ! هه !
بينوف : ما هذه الهلوسة ؟

سائين : كلمات . وهذه كلمة أخرى : اللاماتى !
بينوف : اذن فلماذا تقولها ؟

- ساتين : أعطني خمسة كوپك وأنا أومن بأنك عبقرى ، بطل ،
 تمساح ، ضابط شرطة ! كليش ، أعطني خمسة
 كوپك .
- كليش : اذهب الى الشيطان ! أمثالك كثيرون .
- ساتين : لا داعى للسباب ، أرجوك . كأننى لا أعلم أنك
 لامتلك كوپكاً واحداً ؟
- انا : أندريه متريتش ... لا أستطيع أن أتففس ...
 الجو خانق ... جداً ...
- كليش : وماذا تنتظرين منى أن أفعل ؟
- بينوف : افتح باب الطريقة .
- كليش : آه ، نعم ، بالطبع . أنت هناك على سريرك ، وأنا
 هنا تحت على الأرض . أنا مصاب ببرد .
- بينوف : (بهدوء) لست أنا الذى أريد فتح الباب .
 زوجتك هى التى تطلب ذلك .
- كليش : (مكتئباً) الحاجات التى يطلبها الانسان لا عد لها
 ولا حصر .
- ساتين : رأسى تدور . لماذا يضرب الناس بعضهم بعضاً
 على الرأس ؟
- بينوف : ليس على الرأس فقط ، وإنما على سائر أجزاء
 الجسم (ينهض) سأخرج لأشترى بعض الخيط .
 لماذا تأخر صاحب الملك وزوجته اليوم ؟ لعلهما
 تشاجرا (يخرج) .

الآن ؟ خذ حالتى أنا مثلاً . كنت من قبل أشتغل
 فى صناعة الفراء . كان لى محلى الخاص . كانت
 يداى دائماً صفراوين من صبغ الفراء ، يداى
 وذراعاى ، لغاية الكوع . وكنت أظن أنها ستظل
 كذلك الى أن أموت . كنت أظن أننى سأموت
 بهاتين الذراعين الصفراوين . والآن أنظر اليهما .
 مجرد قذارة ، لا غير . هه !

- ساتين : وايه يعنى ؟
- بينوف : لا شىء . هذا كل ما فى الأمر .
- ساتين : ما هو قصدك اذن من هذه الخطبة ؟
- بينوف : لا قصد على الاطلاق . مجرد فكرة . لقد اتضح
 أنه مهما يكن حرصك فى طلاء الظاهر ، فان الطلاء
 يزول . كله يزول .
- ساتين : أوه ، عظامى تؤلمنى أشد الألم !
- الممثل : (يجلس محتضناً ركبتيه) التعليم لا شىء ، المهم
 هى الموهبة . كنت أعرف ممثلاً لم يكن يستطيع
 أن يحفظ دوره الا بقراءته مقطعاً بعد آخر .
 ولكنه عندما كان يمثل ، كان المسرح يضج ويصخب
 من انفعال الجماهير .
- ساتين : بينوف ، أقرضنى خمسة كوپك .
- بينوف : ليس معى الا اثنان .
- الممثل : أقول لك ان الموهبة هى التى تخلق الممثل .
 والموهبة معناها أن تؤمن بنفسك ، بمقدرتك .

(تسعل أنا . يرقد ساتين بلا حراك ، ويداه
تحت رأسه) .

الممثل : (ينظر حوله في بؤس ثم يتجه الى أنا) تشعرين
بتعب ؟

أنا : الجو خائق ... جداً ...

الممثل : سأخذك الى الطرقة اذا أردت . هيا ، انهضى
(يساعدها على النهوض ، ويلف بعض الخرق على
كتفها ، ثم يقودها الى الخارج) هكذا . حاسبى .
أنا نفسى مريض جسمى مسمم من
الكحول .

كوستليوف : (عند الباب) تترىين ؟ منظر كما جميل جدا .
خروف ونعجة !

الممثل : أفسح الطريق . ألا ترى أنا مريضان ؟
كوستليوف : نعم ، نعم ، بالطبع (يهمهم باحدى تراتيل الكنيسة
من أنفه ، ثم يتطلع فى الغرفة بارتياح وهو يستدير
برأسه كأنما يصفى الى شىء فى غرفة پيل . بينما
يقوم كليش - فى خبث - بشخللة المفاتيح
واستعمال مبرده وهو يرقب حركات صاحب
الملك من تحت حاجبيه) هذا وقت البرادة ؟

كليش : ماذا تقول ؟

كوستليوف : أقول هذا وقت البرادة ؟ (صمت) ماذا كنت أريد
أن أقول ؟ (يتحدث بسرعة فى صوت منخفض)
هل جاءت زوجتى ؟

كليش : لم أرها .

كوستليوف : (يتسلل نحو الباب متجهاً الى غرفة پيل) أنت
تشغل مساحة كبيرة باثنين روبل فى الشهر ،
هه ؟ سرير ، ومكان بجانبه لتجلس فيه ، هيه !
هذا يساوى خمسة روبلات على الأقل . سأزيد
الإيجار نصف روبل .

كليش : زده حبلا واشنقنى الى أن أموت . أنت الآن فى
آخر أيام حياتك ، وما زلت تفكر فى انتزاع نصف
روبل آخر .

كوستليوف : ولماذا اشنقك ؟ من الذى يستفيد من هذا ؟ عش ،
وليكن الله فى عونك . ولكننى سأزيد نصف الروبل
على أية حال . سأشترى بعض الزيت لمصباح
الايقونة وأوقده أمام الصورة المقدسة ، قرباناً منى
للتكفير عن خطاياى ، وعن خطاياك أيضاً . أنت
لا تفكر أبداً فى خطاياك ، هه ؟ أنت رجل شرير
يا أندريه ! زوجتك تقضى نحبها من دناءتك .
لا أحد يحبك . لا أحد يحترمك . تستعمل هذا
المبرد وتثير أعصاب الناس

كليش : (صارخاً) ألم تأت هنا الا لتسمم حياتى ؟

(ساتين يزأر)

كوستليوف : (مفزوعاً) يا حفيظ ! ما هذا ...

الممثل : (داخلاً) أعددت لها مكاناً فى الطرقة ، بعد أن
غطيتها جيداً .

كوستليوف : قلبك طيب يا أخ . هذا عمل طيب . سيضاف كل هذا الى حسابك .

الممثل : متى ؟

كوستليوف : في الآخرة يا أخ ! فهناك كل شيء بحساب ، كل عمل ولو كان صغيراً .

الممثل : لعلك تكافئني على طيبتى هنا ، الآن ؟

كوستليوف : وكيف أستطيع ذلك ؟

الممثل : بشطب نصف ما على من ديون .

كوستليوف : هيه ! أنت تمزح . واحدة أخرى من نكاتك الهزيلة ! كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال . الطيبة هي أعلى مراحل البركة . أما الدين فدين . ومعنى هذا أنه لا مفر من دفعه . أما بخصوص الطيبة التي تبديها نحو رجل عجوز مثلى ، فلا يجوز أن تطلب عليها مكافأة .

الممثل : أنت عجوز حقير !

(يخرج الى المطبخ . ينهض كليش ويخرج الى الردهة)

كوستليوف : (يخاطب ساتين) هذا البراد . هرب . هو لا يحبني .

ساتين : لا يمكن أن يحبك الا الشيطان !

كوستليوف : (مداعباً) لماذا تقول لى كلاماً كهذا ؟ أنا ، الذي أحبكم جميعاً . ألا أعلم أنا انكم جميعاً اخوتي ؟

أخوتي الفقراء السيئو الحظ ؟ (فجأة وبسرعة)

ايه ... أ ... قاسيا ... هل هو هنا ؟

ساتين : ابحث عنه .

كوستليوف : (يذهب فيطرق الباب) قاسيا !

(يظهر الممثل عند باب المطبخ يئسف شيئاً)

پل : من ؟

كوستليوف : أنا . أنا يا قاسيا .

پل : ماذا تريد ؟

كوستليوف : (مبتعداً) افتح الباب .

ساتين : (دون أن ينظر الى كوستليوف) سيفتح الباب فتراها .

(يصدر الممثل صوتاً من حلقه)

كوستليوف : (في ارتباك ، بصوت منخفض) ماذا ؟ من هناك ؟ ماذا قلت ؟

ساتين : أنت تكلمنى ؟

كوستليوف : ماذا قلت ؟

ساتين : لا شيء . كنت أكلم نفسي .

كوستليوف : حاسب على الفاظك يا أخ : النكتة نكتة ، ولكن في الوقت المناسب ! (يطرق الباب بشدة) قاسيا !

پل : (يفتح الباب) لماذا تأتي الى هنا وتضايقنى ؟

كوستليوف : (يطل في الغرفة) أنا ... أنت ...

كوستليوف : قلبك طيب يا أخ . هذا عمل طيب . سيضاف كل هذا الى حسابك .

الممثل : متى ؟

كوستليوف : في الآخرة يا أخ ! فهناك كل شيء بحساب ، كل عمل ولو كان صغيراً .

الممثل : لعلك تكافئني على طيبتى هنا ، الآن ؟

كوستليوف : وكيف أستطيع ذلك ؟

الممثل : بشطب نصف ما على من ديون .

كوستليوف : هيه ! أنت تمزح . واحدة أخرى من نكاتك الهزيلة ! كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال . الطيبة هي أعلى مراحل البركة . أما الدين فدين . ومعنى هذا أنه لا مفر من دفعه . أما بخصوص الطيبة التي تبديها نحو رجل عجوز مثلى ، فلا يجوز أن تطلب عليها مكافأة .

الممثل : أنت عجوز حقير !

(يخرج الى المطبخ . ينهض كليش ويخرج الى الردهة)

كوستليوف : (يخاطب ساتين) هذا البراد . هرب . هو لا يحبني .

ساتين : لا يمكن أن يحبك الا الشيطان !

كوستليوف : (مداعباً) لماذا تقول لى كلاماً كهذا ؟ أنا ، الذي أحبكم جميعاً . ألا أعلم أنا انكم جميعاً اخوتي ؟

ساتين : هذا ما أحبه .
 پيل : ماذا كان يفعل هنا ؟
 ساتين : (وهو يضحك) الا تستطيع أن تخمن ؟ كان يبحث
 عن زوجته . لماذا لا تنتهي منه يا فاسيا ؟
 پيل : وأفسد حياتي من أجل خنزير مثله ؟
 ساتين : كن لبقاً ، حتى تستطيع أن تتزوج فاسيليسا
 وتجمع منا الايجار .
 پيل : ألا يكون ذلك لطيفاً ؟ عندئذ تستولون على كل أملاكى
 بما فيها أنا شخصياً قبل أن أتنبه ، نظراً لطيبة
 قلبى (يجلس على إحدى المصاطب) هذا الشيطان
 العجوز ! لقد أيقظنى . كنت أحلم حلماً رائعاً .
 كنت أحلم أنني كنت أصيد السمك وأنى صدت
 قرموطة ضخمة . لم أر قرموطة بهذا الحجم أبداً
 الا فى الحلم . كانت هناك عند السنارة ، وكنت
 أخشى أن تفلت ، ولذا أعددت الشبكة وقلت
 لى نفسى سأصيدها الآن ...
 ساتين : لم تكن هذه قرموطة . بل كانت فاسيليسا .
 الممثل : لقد صاد فاسيليسا من زمان .
 پيل : (غاضباً) اذهبوا كلكم الى جهنم ، وخذوها
 معكم .
 كليش : (داخلاً من الردهة) البرد شديد .
 الممثل : لماذا لم تدخل أنا ؟ ستتجمد هناك .

پيل : هل أحضرت النقود ؟
 كوستليوف : أريد أن أتحدث معك فى بعض الأعمال .
 پيل : هل أحضرت النقود ؟
 كوستليوف : أى نقود ؟ انتظر لحظة ...
 پيل : سبعة روبلات ثمن الساعة . أين هى ؟
 كوستليوف : أى ساعة يا فاسيا ؟ أنت ...
 پيل : حاسب ! حاسب ! رآنى الناس وأنا أبيع لك هذه
 الساعة أمس بعشرة روبلات . وصلنى منها ثلاثة ،
 باقى سبعة . هاتها . لماذا تقف هكذا ؟ لماذا ترابط
 هنا تزعج كل واحد بدلا من الانصراف الى
 عملك ؟
 كوستليوف : شش ! لا تفضب يا فاسيا . الساعة ...
 انها ...
 ساتين : بضاعة مسروقة .
 كوستليوف : أنا لا أتعامل فى البضاعة المسروقة . كيف
 تجرؤ ...
 پيل : (يقبض على كتفيه) لماذا تضايقنى ؟ ماذا تريد ؟
 كوستليوف : أنا ؟ لا شيء . لا شيء بالمره . سأصرف اذا كنت
 تعاملنى هكذا .
 پيل : اذهب ، واحضر النقود .
 كوستليوف : (خارجاً) يا حفيظ ! رجل فظ !
 الممثل : كوميدى حقيقية !

- بالله عليك لماذا لا تكف عن استخدام هذا المبرد ؟ : **پیل**
- وماذا افعل غير ذلك ؟ : **كليش**
- لا شيء . : **پیل**
- وكيف اطعم نفسي ؟ : **كليش**
- غيرك يدبرون امرهم . : **پیل**
- من ؟ هؤلاء هنا ؟ هل تسمى هؤلاء ناساً ؟ : **كليش**
- صعاليك ! متشردون ! حثالة الارض ! انا رجل صناعي ، وانا اشعر بالعار لمجرد النظر اليهم . انا اعلم منذ طفولتي . هل تظن اننى لن اتمكن من ان انجو بنفسى من هذا المكان ؟ ساتمكن من هذا . قد ابرد كل قطعة من جلد جسمى بهذا المبرد ، ولكننى سأزحف حتى اخرج من هنا . انتظر . ستموت زوجتى قريباً . انا لم اعش هنا الا ستة اشهر ، ولكنها تبدو ست سنين .
- انت لست افضل من اى واحد منا ، فلا داعى لمثل هذا الكلام . : **پیل**
- لست افضل ! انت لا شرف لك ، ولا ضمير ! : **كليش**
- (بلا مبالاة) ومنذا الذى يريد هما : الشرف والضمير ؟ لا تستطيع ان تلبس الشرف والضمير فى قدميك بدلا من الحذاء . هؤلاء الذين لديهم السلطان والنفوذ ، هم وحدهم الذين يحتاجون الى الشرف والضمير . : **پیل**

- أخذتها ناتاشا الى المطبخ . : **كليش**
- سيطردها العجوز . : **الممثل**
- (يستأنف عمله) عندئذ تأتى بها ناتاشا . : **كليش**
- قاسيا ، أقرضنى خمسة كوپك . : **ساتين**
- (الى ساتين) خمسة كوپك ؟ قاسيا ، أقرضنى عشرين كوپك . : **الممثل**
- الأفضل ان أسرع باعطائهما النقود قبل ان يطلبوا روبلا . خذا . : **پیل**
- للصوص أحسن ناس فى الدنيا ! : **ساتين**
- (مكتئباً) يأتيهم المال بسهولة . وهم لا يشتغلون . : **كليش**
- كثير من الناس يأتيهم المال بسهولة . ولكن قليل من الناس يعطونه بسهولة . شغل ؟ ابحت لى عن عمل يسرنى ان اعمل فيه ، وربما أقبله . ربما ! عندما يكون العمل لذة ، تكون الحياة بهيجة . أما عندما يكون العمل واجباً ، فالحياة تكون استعباداً (يخاطب الممثل) هيا يا « ساردانا با لوس » . فلنذهب .
- لنذهب يا « بختنصر » . سأسكر طينة . : **الممثل**
- (يخرجان)
- (يتشاءب) كيف حال زوجتك ؟ : **پیل**
- تستطيع ان ترى ان حياتها لن تطول . : **كليش**
- (صمت)

بيبل : ساتين يقول ان كل واحد يريد من الاخرين ان يكون لهم ضمير ، ولكن ما من أحد يريد أن يكون لنفسه ضمير . هذا هو الحق .

(تدخل ناتاشا . يتبعها لوكا بعضا في

يده ؛ وخرج على كتفه ، وابريق

وغلاية شاي مربوطة في حزامه)

لوكا : تحية لكم ، أيها الناس الطيبون !

بيبل : (يداعب شاربه) آه ، ناتاشا !

بينوف : (الي لوكا) كنا طيبين فيما مضى ، قبل العام الذي انقضى !

ناتاشا : هذا ساكن جديد .

لوكا : سيان عندي ، فأنا أحترم النصابين أيضاً . فحتى البرغوث ، له مزاياه . هذا رأيي . فالبراغيث كلها سوداء ، وهي كلها تنط . والآن يا عزيزتي ، أين سانام ؟

ناتاشا : (مشيرة الي باب المطبخ) هناك يا جدي .

لوكا : شكرا يا بنتي . اذا قلت هناك ، فالي هناك اذهب . أي مكان دافئ هو مأوى للعظام الهرمة .

بيبل : هذا عجوز أمره عجيب يا ناتاشا .

ناتاشا : هو أفضل منك . أندريه ، زوجتك جالسة في

مطبخنا . تعال وخذها بعد لحظة .

كليش : طيب ، ساتي .

بينوف : (داخلا) برررر ! أنا أموت من البرد .

بيبل : بينوف ! هل عندك ضمير ؟

بينوف : وما هذا ؟ ضمير ؟

بيبل : نعم ، ضمير ؟

بينوف : ولماذا يجب أن يكون عندي ضمير ؟ أنا لست غنياً .

بيبل : هذا ما أقوله . الأغنياء وحدهم هم الذين

يحتاجون الي شرف وضمير . ولكن كليش يؤنبنا .

هو يقول ان ضميرنا ...

بينوف : هل يجب أن يستعير ضميرا ؟

بيبل : لا ، لا . هو عنده ضمير ممتاز .

بينوف : (الي كليش) اذن فهو يعرضه للبيع ؟ لن يجد

له زبونا هنا . لو كانت « كوتشينة » قديمة مثلا ،

فربما اشتريتها ، ولكن بشرط أن يقبل أن يبيعها

لي بالتقسيط .

بيبل : (واعظاً) أنت مغفل يا أندريه ! قبل أن تتحدث

عن الضمير أنصحك بأن تستمع الي ساتين ...

أو حتى البارون .

كليش : ليس لديهما شيء أتعلمه منهما .

بيبل : تفكيرهما أفضل من تفكيرك ، حتى اذا كانا

سكرانين .

بينوف : من يحتفظ بعقله وهو سكران ، هو لجائزتين

كسبان .

- ناتاشا : أرجو أن تعاملها معاملة الطف . فأنت ترى أن الأمر لن يطول بعد الآن .
- كليش : أعرف .
- ناتاشا : لا يكفي أن تعرف . لابد أن تفهم . الموت شيء رهيب .
- بيبل : أنا لست خائفاً .
- ناتاشا : أأنت خائفاً الآن ؟ أنت شجاع جداً !
- بينوف : (يصفر بفمه) هذا الخيط تالف .
- بيبل : صدقيني ، أنا لا أخشى الموت . أنا مستعد لأن أموت في هذه اللحظة . خذي هذه السكين واغرسيها في قلبي . سأموت دون أن تصدر عني شهقة واحدة . بل سأكون مسروراً لأن موتى جاء على يد نظيفة .
- ناتاشا : (خارجة) هل تتوقع مني أن أصدق هذا ؟
- بينوف : (بعويل) هذا الخيط تالف .
- ناتاشا : (عند باب الطريقة) لا تنس زوجتك يا أندريه .
- كليش : لن أنسى .
- بيبل : يا لها من فتاة !
- بينوف : لا بأس بها .
- بيبل : لماذا تعاملني هكذا ؟ دائماً تصدني . ستتخطم إذا بقيت هنا .
- بينوف : ستتخطم بسببك .
- بيبل : ما الذي يجعلك تقول هذا ؟ أنا ... أنا أشفق عليها .
- بينوف : كما يشفق الذئب على الحمل !
- بيبل : هذا كذب ! من الصعب أن تعيش هنا . أستطيع أن أرى هذا .
- كليش : انتظر الى أن تضبطك فاسيليسا وأنت تكلمها .
- بينوف : فاسيليسا ؟ هي ليست من النوع الذي يتخلى عن شيء مقابل لا شيء . هي سيدة مفترسة .
- بيبل : (مضطجماً على السرير) اذهب الى الجحيم : ماذا ؟ تبيان ؟
- كليش : ستري . انتظر .
- لوكا : (يغني في المطبخ) في حلقة الليل الرهيب ، يختفي الطريق في الظلام
- كليش : (يتجه الى الطريقة) علام ينوح هو الآخر ؟
- بيبل : حقاً ان الحياة مملة ! عجيب ان ينتابني هذا الشعور من آن لآخر . ان الانسان يعيش من يوم ليوم دون ان يلاحظ شيئاً ، ثم على حين فجأة يشعر كأنما أصيب ببرد . شيء متعب جداً .
- بينوف : متعب ؟ هه !
- بيبل : جداً
- لوكا : (يغني) آه ... ه ! لا طريق على مدى البصر !
- بيبل : ايه . أنت يا عجوز !

- ناتاشا : أرجو أن تعاملها معاملة الطف . فأنت ترى أن الأمر لن يطول بعد الآن .
- كليش : أعرف .
- ناتاشا : لا يكفي أن تعرف . لابد أن تفهم . الموت شيء رهيب .
- بيبل : أنا لست خائفاً .
- ناتاشا : أأنت خائفاً الآن ؟ أنت شجاع جداً !
- بينوف : (يصفر بفمه) هذا الخيط تالف .
- بيبل : صدقيني ، أنا لا أخشى الموت . أنا مستعد لأن أموت في هذه اللحظة . خذي هذه السكين واغرسيها في قلبي . سأموت دون أن تصدر عني شهقة واحدة . بل سأكون مسروراً لأن موتى جاء على يد نظيفة .
- ناتاشا : (خارجة) هل تتوقع مني أن أصدق هذا ؟
- بينوف : (بعويل) هذا الخيط تالف .
- ناتاشا : (عند باب الطريقة) لا تنس زوجتك يا أندريه .
- كليش : لن أنسى .
- بيبل : يا لها من فتاة !
- بينوف : لا بأس بها .
- بيبل : لماذا تعاملني هكذا ؟ دائماً تصدني . ستتخطم إذا بقيت هنا .
- بينوف : ستتخطم بسببك .

- البارون : هي حمقاء !
 پيل : آه ، البارون ! هل تناولت الشاي ؟
 البارون : نعم . وماذا بعد ذلك ؟
 پيل : هل تريد ان اشترى لك كوب بيرة ؟
 البارون : نعم . ثم ماذا ؟
 پيل : اذن فاركع على اطرافك الاربعة وانبح كالكلب .
 البارون : عنيد ! هل تظن انك تاجر غني ؟ ام انك سكران ؟
 پيل : هيا ، انبح كى تسلينى . انت چنتلمان . وفى يوم
 من الايام لم تكن تعتبر الناس امثالنا كائنات
 بشرية .
 البارون : ثم ماذا ؟
 پيل : والآن ، انا اطلب منك ان تركع على اطرافك
 الاربعة وان تنبح كالكلب ، وانت ستفعل ذلك .
 هل تسمعنى ؟
 البارون : اسمعك يا احمق ، وسأفعل ما تطلب . ولكننى
 لا ارى ما هى المتعة التى تعود عليك من هذا ، اذا
 ما ادركت انا نفسى اننى اصبحت اسوأ منكم او
 اكاد . وانت ما كنت تحاول ان تجعلنى اركع على
 اطرافى الاربعة عندما كنت أعلى منك .
 پينوف : كلام صحيح !
 لوكا : كلام مضبوط !
 پينوف : ما فات مات ولم يبق الا ريش الدجاج . لا يوجد

- لوكا : (يطل من الباب) هل تنادينى ؟
 پيل : نعم انت . كف عن الغناء .
 لوكا : (خارجاً من المطبخ) الا تحب الغناء ؟
 پيل : قد احب الغناء اذا كان جيداً .
 لوكا : تريد ان تقول ان غنائى ليس جيداً ؟
 پيل : بالضبط .
 لوكا : عجيب ! وانا الذى كنت اظن ان صوتى جميل .
 دائماً هكذا : عندما يودى شخص شيئاً يقول
 لنفسه : يا سلام ، هذا رائع ، ثم يأتى من يقول
 له هذا ردىء .
 پيل : (ضاحكاً) هذا صحيح .
 پينوف : منذ دقيقة كنت على وشك ان تموت من الملل ،
 والآن تضحك ؟
 پيل : وماذا يهملك ايها الغراب العجوز ؟
 لوكا : ما هذا ؟ من الذى يشعر بالملل ؟
 پيل : انا .

(يدخل البارون)

- لوكا : عجيب ! هناك فتاة جالسة فى المطبخ تقرأ فى كتاب
 وتبكى . تبكى فعلاً . والدموع تجرى على خديها .
 سألتها « لماذا تبكين يا عزيزتى ؟ » فقالت « الرجل
 المسكين ! » . فسألتها « أى رجل ؟ » . فقالت
 « هنا فى الكتاب » . ما الذى يجعل الناس تضيع
 الوقت فى أمور كهذه ؟ لابد أنها تشعر بالملل مثلك .

- البارون : من انت ايها العجوز ؟ من اين جئت ؟
لوكا : انا ؟
البارون : هل انت حاج ؟
لوكا : كلنا حجاج على هذه الارض . وقد سمعت قائلاً يقول ان ارضنا هذه هي نفسها حاجة في السماوات .
البارون : (بشدة) دع الارض وشأنها . ولكن انت ؟ هل معك جواز مرور ؟
لوكا : (بعد برهة صمت) ومن تكون انت ؟ بوليس سرى ؟
بيبل : (مرحاً) احسنت ايها العجوز ! لقد نال منك هذه المرة يا بارون !
بينوف : نعم ، وضع الجنتلمان العظيم في مكانه .
البارون : (مرتبكاً) وماذا في ذلك ؟ كنت امزح ايها العجوز .
بينوف : كذاب !
البارون : اريد ان اقول ان معي بعض اوراق ، ولكن لا فائدة لها .
لوكا : هذه الاوراق كلها متشابهة . لا فائدة لها .
بيبل : فلنذهب لتناول كأساً يا بارون .
البارون : لا مانع عندي . الى اللقاء ايها العجوز . انت وغد !
لوكا : لا يتم العالم الا اذا كان فيه ناس من كل نوع .
بيبل : (عند باب الردهة) تعال ان كنت ستاتي (يخرج)
(يهرول البارون خلفه)

- هنا احد ممن تسميهم « بچنتلمان » . الدهان كله زال . ليس هنا الا ناس عرايا .
لوكا : وبعبارة اخرى ، كلنا متساوون . ولكن هل كنت حقيقة باروناً ايها الرجل الطيب ؟
البارون : من هذا ؟ من انت ايها العفريت ؟
لوكا : (ضاحكاً) انا رايت الكونت ، ورايت الامير ، ولكنني لم ار ابداً باروناً ، وخاصة اذا كان هذا البارون جربان .
بيبل : (ضاحكاً) بارون ! انك تجعلني احمر من الخجل !
البارون : حان الوقت لكي تتعقل يا قاسيا .
لوكا : لا ، لا ، لا . هذه الحياة التي تحيونها ! من اغرب ما يكون !
بينوف : نحن نصحو على الآهات ، وننام على الانات . هكذا نعيش !
البارون : كنا نعيش احسن من ذلك في يوم من الايام . انا اتذكر عندما كنت اصحو في الصباح فتأتيني الخادم بالقهوة في السرير . قهوة باللبن .
لوكا : نحن بشر . كلنا . مهما يكن مظهرنا ، مهما نتظاهر أو نخادع ، ولدنا بشراً ، وسنموت بشراً . الناس يزدادون حكمة ، على ما يبدو لي ، ويزداد امرهم بعثاً على الاهتمام بشأنهم . كلما ساءت حياتهم ، ازدادوا رغبة في تحسين حياتهم . جنس عنيد ، هؤلاء البشر !

خذوني بنصف روبل . انا لا اريد شيئاً (تدخل)
ناستيا بن المطبخ) اعطوني مليون روبل ... لن
 اخذها . هل تظنون اننى اسمح لاي شخص ،
 خصوصاً اذا كان سكران ، ان يقول لى ماذا افعل .
 ابدأ .

(**تقد ناستيا بالبواب تراقب**
اليوشكا وتهز رأسها)

لوكا : (**بعطف**) ما هذه اللخبطة التى اوقعت نفسك
 فيها ايها الشاب ؟

بينوف : مهفوف انعم مهفوف !

اليوشكا : (**يلقى بنفسه على الأرض**) كلونى ! لا اريد منكم
 شيئاً . انا رجل بائس . حاولوا ان تثبتوا لى ان
 فيكم من هو احسن منى . لماذا اكون فى نظركم
 أسوأ من الباقين ؟ هذا الـ « مدياكين » يقول لى
 « سأحطم رأسك اذا ضبطتك فى الشارع » .
 ولكننى سأخرج الى الشارع . سأخرج الى
 الشارع ، وانام فى عرض الطريق .. هيا ...
 دوسوا فوقى . لا اريد منكم شيئاً .

ناستيا : مسكين ! منحرف ومعقد وهو فى عز شبابه !

اليوشكا : (**يلمحها فينهض على ركبتيه**) مدموازيل ،

Parlez francais !. merci ! Bouillon !.

كنت فى معركة .

ناستيا : (**فى همس مسموع**) فاسيليسا !

لوكا : هل كان حقيقة بارونا ؟
 بينوف : من يدري ؟ ولكن من المؤكد انه ينتمى الى طبقة
 السادة . وحتى الآن نراه على حين فجأة يفعل
 شيئاً يثبت انه ينتمى الى هذه الطبقة . يبدو
 انه لم ينس هذه العادات بعد .

لوكا : ان الانتماء الى طبقة السادة اشبه بالاصابة
 بالجدرى ، قد يبرأ منه المصاب ، ولكن آثاره تبقى .

بينوف : هو شخص لا بأس به على وجه العموم . كل ما فى
 الامر انه يقف على رجليه الخلفيتين من آن لآخر .
 كما فعل عندما سألك عن جواز المرور .

اليوشكا : (**يدخل وهو مخمور بعض الشيء ، يصفر ويعزف**
على الأورديون) هيه يا سكان !

بينوف : ما هذا الصياح ؟

اليوشكا : سامحونى ! اعذرونى ! انا رجل مؤدب جداً
 بطبيعتى .

بينوف : عدت للعراك ؟

اليوشكا : طردنى الشرطى « مدياكين » من مركز الشرطة
 وقال لى « اياك ان ارى وجهك فى الشارع مرة
 اخرى ! » ، ولكن انا شخص عنده اخلاق . اذا
 كان رئيسى يشخط فى ، فمن هو الرئيس ؟ مجرد
 سوء تفاهم . سكران . رئيسى سكران . وانا
 شخص لا ابالى باى شىء . انا لا اريد شيئاً .

اليوشكا : (يفتح الباب ويصيح) فاسيليسا كارپو فئا ! لا يمكن
ان تخيفينى ! لا يمكن ان تخيفينى ... (يختفى)
(لوكا يضحك)

فاسيليسا : ومن تكون أنت ؟
لوكا : متجول . حاج .
فاسيليسا : هنا ليلة أم اقامة ؟
لوكا : سأرى المكان أولاً .
فاسيليسا : جواز المرور ؟
لوكا : اذا اردت

فاسيليسا : أعطنيه .
لوكا : سأسلمه ... لك في غرفتك بنفسى .
فاسيليسا : حاج ؟ لماذا لا تقول صعلوك ؟
لوكا : (يتنهد) أنت لست طيبة القلب .

(تتجه فاسيليسا نحو باب غرفة

بيبل . يطل اليوشكا برأسه
من باب المطبخ ويهمس :

((هل ذهبت ؟))

فاسيليسا : (تتجه نحوه) أنت ما زلت هنا ؟
(يصفر اليوشكا بصوت
حاد ويختفى . ناستيا
ولوكا يضحكان)

بينوف : (الى فاسيليسا) ليس هنا .

فاسيليسا : (تفتح الباب بسرعة وتخاطب اليوشكا) عدت الى
هنا !

اليوشكا : كيف حالك ؟ هل تتفضلين ف ...
فاسيليسا : انا حذرتك من ان ارى وجهك هنا مرة اخرى
يا كلب . وهذا أنت الآن !

اليوشكا : يا فاسيليسا كارپو فئا . سأعزف لك لحناً جنائزياً .
ما رأيك ؟

فاسيليسا : (تجره من كنفه) اخرج !
اليوشكا : (متجهاً نحو الباب) انتظري لحظة ! اللحن
الجنائزى ! لقد تعلمته الآن . لحن جديد تماماً .
انتظري لحظة . لا يمكن ان تفعلى ذلك .

فاسيليسا : سأريك ان كان في امكاني ان افعل ذلك ام لا .
سأثير الشارع كله ضدك أيها الوثنى . أنت أصفر
من ان تجوب الشوارع تشهر بى !

اليوشكا : (وهو يعدو) سأخرج .
فاسيليسا : (الى بينوف) لا أريد ان اراه هنا مرة اخرى ، هل
تسمع ؟

بينوف : انا لست كلب حراسة .
فاسيليسا : لا يهمنى ماذا تسمى نفسك . ولا تنس أنك تعيش
على الاحسان . بكم أنت مدين لى ؟

بينوف : (دون ان ينزعج) لم أحسب .
فاسيليسا : سأحسب لك .

- فاسيليسا : من ؟
 بينوف : فاسيا .
 فاسيليسا : هل سألتك أين هو ؟
 بينوف : أراك تحومين في الغرفة .
 فاسيليسا : أريد أن أتأكد أن كل شيء على ما يرام . فهمت ؟
 لماذا لم تكنسوا الأرض ؟ كم مرة أمرتكم أن تجعلوا هذا المكان نظيفاً دائماً ؟
 بينوف : دور الكنس اليوم على المثل .
 فاسيليسا : لا يهمني دور من هو . إذا جاء مفتش الصحة وعاقبني بغرامة سأطردكم كلكم .
 بينوف : (بهدوء) وعلام تعيشين اذن ؟
 فاسيليسا : لا أريد أن أرى بقعة واحدة على الأرض (متجهة ناحية المطبخ وهي تتحدث الى ناستيا) لماذا أنت حزينة هكذا وبوزك منفوخ ؟ واقفة كالصنم ! اكنسى الأرض ! هل رأيت ناتاشا ؟ هل جاءت هنا ؟
 ناستيا : لا أعرف . لم أرها .
 فاسيليسا : بينوف ! هل جاءت أختي هنا ؟
 بينوف : (مشيراً الى لوكا) جاءت به .
 فاسيليسا : وهذا الرجل هل كان هنا ؟
 بينوف : فاسيا ؟ كان هنا . ولكن ناتاشا لم تتحدث مع أحد الا كليش .
 فاسيليسا : لم أسألك مع من كانت تتحدث . قدارة في كل مكان ! وساخة ! مجموعة حلايف ! نظفوا هذا المكان . هل سمعتم ؟
 (تخرج بسرعة)
- بينوف : هل رايتم أبداً امرأة بهذه الدناءة ؟
 لوكا : امرأة لا يمكن استغفالها !
 ناستيا : أى واحد يعيش عيشتها لابد أن يكون دنيئاً . إذا ارتبطت أى امرأة بزواج كزوجها ...
 بينوف : ليست مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً .
 لوكا : هل تنفجر دائماً هكذا ؟
 بينوف : دائماً . جاءت لترى عشيقها فلم تجده .
 لوكا : هذا يغيظ بالطبع (يتنهد) آه ، آه ، آه ! ما أكثر الناس الذين يحاولون تصريف شئون أرضنا هذه ، وكلهم يوجهون تهديدات مخيفة ! ومع ذلك ، لا نظام ولا نظافة !
 بينوف : يريدون النظام ولكن ليس لديهم عقل لتحقيقه . على كل حال لا بد من كنس الأرض . ناستيا ! لماذا لا تكنسينها ؟
 ناستيا : لماذا في رأيك ؟ هل أنا خادمة غرفتك ؟ (بعد لحظة صمت) سأسكر اليوم سأسكر طينة .
 بينوف : هذا نوع من العمل على الأقل .
 لوكا : لماذا تريدان أن تسكرى يا بنتى ؟ منذ لحظة قصيرة كنت تبكين ، والآن تقولين انك تريدان أن تسكرى .
 ناستيا : (متحدية) سأسكر وأبداً في البكاء من جديد . هذا كل ما في الأمر .

- فاسيليسا : من ؟
 بينوف : فاسيا .
 فاسيليسا : هل سألتك أين هو ؟
 بينوف : أراك تحومين في الغرفة .
 فاسيليسا : أريد أن أتأكد أن كل شيء على ما يرام . فهمت ؟
 لماذا لم تكنسوا الأرض ؟ كم مرة أمرتكم أن تجعلوا هذا المكان نظيفاً دائماً ؟
 بينوف : دور الكنس اليوم على المثل .
 فاسيليسا : لا يهمني دور من هو . إذا جاء مفتش الصحة وعاقبني بغرامة سأطردكم كلكم .
 بينوف : (بهدوء) وعلام تعيشين اذن ؟
 فاسيليسا : لا أريد أن أرى بقعة واحدة على الأرض (متجهة ناحية المطبخ وهي تتحدث الى ناستيا) لماذا أنت حزينة هكذا وبوزك منفوخ ؟ واقفة كالصنم ! اكنسى الأرض ! هل رأيت ناتاشا ؟ هل جاءت هنا ؟
 ناستيا : لا أعرف . لم أرها .
 فاسيليسا : بينوف ! هل جاءت أختي هنا ؟
 بينوف : (مشيراً الى لوكا) جاءت به .
 فاسيليسا : وهذا الرجل هل كان هنا ؟
 بينوف : فاسيا ؟ كان هنا . ولكن ناتاشا لم تتحدث مع أحد الا كليش .
 فاسيليسا : لم أسألك مع من كانت تتحدث . قدارة في كل مكان ! وساخة ! مجموعة حلايف ! نظفوا هذا المكان . هل سمعتم ؟
 (تخرج بسرعة)

بينوف :

ليس هذا بالكثير .

لوكا :

ولكن ما السبب ؟ حتى الدم له سبب .

(تهز ناستيا رأسها في صمت)

لوكا :

آه ، آه ، آه . هؤلاء الناس ! ماذا سيكون

مصيركم ؟ ساكنس الأرض لكم . أين الكنيسة ؟

بينوف :

خلف الباب في الطريقة .

(يخرج لوكا الى الردهة)

بينوف :

ناستيا !

ناستيا :

ماذا ؟

بينوف :

لماذا ثارت فاسيليسا على اليوشكا بهذا الشكل ؟

ناستيا :

راح يقول لكل واحد ان فاسيا سئمتها وانه

سيتخلى عنها من أجل ناتاشا . خير لى ان اترك

هذا المكان . . . انتقل الى مكان آخر .

بينوف :

ماذا تقولين ؟ الى أين ؟

ناستيا :

سئمت كل هذا . لا مكان لى هنا .

بينوف :

(ملاطفاً) ولا فى اى مكان آخر . لا مكان لى

واحد على هذه الأرض .

(تهز ناستيا رأسها ، ثم تنهض

وتخرج فى هدوء الى الردهة .

يدخل ميدفيديف يتبعه لوكا

ومعه الكنيسة)

ميدفيديف :

لا اظن اننى اعرفك .

لوكا :

وهل تعرف الآخرين جميعاً ؟

ميدفيديف :

المفروض اننى اعرف كل الناس فى منطقتى .

ولكننى لا اعرفك .

لوكا :

ليست الأرض كلها داخلة فى منطقتك . هذا هو
السبب يا عم . هناك جزء صغير يقع خارج هذه
المنطقة .

(يخرج الى المطبخ)

ميدفيديف :

(يتجه الى بينوف) قد لا تكون منطقتى كبيرة ،

ولكنها العن من منطقة كبيرة . منذ لحظة اضطررت

الى اخذ اليوشكا الاسكافى الى مركز الشرطة .

فماذا تظنون السبب ؟ لقد نام فى وسط الشارع

وراح يعزف على الاكورديون ويصيح « لا أريد

منكم شيئاً » . وبالطبع كانت تسير فى الشارع

خيول وعربات وغيرها . كان محتملاً ان تدوسه

احداها . هو شاب مشاغب . ولكننى أدبته .

يظهر أنه يحب الشغب .

هل تلعب عشرة طاولة الليلة ؟

بينوف :

لا مانع وما أخبار هذا ال « فاسيا » ؟

ميدفيديف :

لا جديد . كالمعتاد .

بينوف :

أو بعبارة أخرى حى يرزق ؟

ميدفيديف :

ولماذا لا ؟ ما من سبب يحول دون ان يكون حياً

يرزق ؟

ميدفيديف :

(فى ارتياب) هل تظن ذلك ؟ (يخرج لوكا الى

الردهة يحمل دلواً) الناس تتهامس بكلام عن

فاسيا . هل سمعته ؟

ميدفيدف : أوه ... الأزواج يختلفون .
كفاشنيا : أما أنا فلا أتغير . بمجرد ما مات نصفي العزيز
الأفضل ، ألا فليستقر في جهنم ، خلوت الى نفسي
يوماً بطوله وأنا في نعيم ، أحاول أن أقنع نفسي
بتصديق حسن حظي .
ميدفيدف : إذا كان زوجك قد ضربك بدون سبب وجيه ،
كان يجب أن ترفعى أمره الى الشرطة .
كفاشنيا : رفعت أمره الى الله ثماني سنوات ، فلم يساعدنى .
ميدفيدف : القانون يحرم ضرب الزوجة . والقوانين صارمة
في هذه الأيام . القانون والنظام ! يجب ألا يكون
الضرب الا لسبب وجيه ... للمحافظة على النظام
فحسب .
لوكا : (داخلا يجر آنا) هل رأيت ؟ ... وصلنا . كيف
تستطيعين بجسمك هذا أن تمشى وحدك ...
ورجلاك ترتجفان ؟ أين مكانك هنا ؟
آنا : (تدله على مكانها) أشكرك يا جدتى .
كفاشنيا : اليكم امرأة متزوجة . انظروا اليها .
لوكا : ان جسمها كله يرتجف . المسكينة ! سمعتها وهي
تئن ، ووجدتها متشبثة بالحائط ، تجاهد لكى
تشق طريقها في الطرقة . يجب ألا تجعلوها تمشى
هكذا وحدها .
كفاشنيا : سامحنا واغفر لنا هذا الاهمال ياسيدى الطيب ،
يظهر أن خادمة غرفتها في اجازة اليوم .

بينوف : أنا أسمع كلاماً كثيراً .
ميدفيدف : عنه هو وقاسيليسا . يظهر ... أ... ألم تلاحظ
شيئاً ؟
بينوف : ماذا ... مثلاً ؟
ميدفيدف : أى شيء . لهلك تعرف ولا تريد أن تخبرنى . كل
واحد يعرف (بشدة) لا تكذب !
بينوف : ولماذا أكذب ؟
ميدفيدف : اذن فاسمعوا أيتها الكلاب القذرة ! يقولون ان
قاسيا وقاسيليسا ... انتم تعرفون . ولكن ماذا
يهمنى ؟ أنا لست أباهما ... ما أنا الا خالها .
فلماذا يسخر الناس منى ؟ (تدخل كفاشنيا) ماذا
دها الناس أخيراً ؟ يسخرون من كل واحد . آه
... أنت . عدت بسرعة . هه ؟
كفاشنيا : الشرطة العظيمة المحترمة المبجلة ! عاد يلاحقنى
ويضايقنى في السوق يا بينوف . لا يرضيه الا أن
أتزوجه .
بينوف : تزوجيه . لم لا ؟ معه مال ، ولم يبلغ سن
الشيخوخة بعد .
ميدفيدف : أنا ؟ هه !
كفاشنيا : أنت أيها الذئب العجوز ! لا تتحدث عن نقطتى
الحساسة . لقد جربته من قبل ... الزواج ! هو
كالقفز في حفرة في الجليد . اذا جربته فلن
تساه .

لوكا

: استمعوا اليها . ثقلب الحكاية نكتة . لا يمكن أن تفعلوا ذلك بانسان . كل انسان له وزن وقيمة ، مهما تكن هذه القيمة ضئيلة .

ميدفيديف : يجب أن تراعوها . ماذا اذا ماتت فجأة ؟ سيكون ذلك مصدر مضايقة كبيرة . لا تجعلوها تغيب عن أعينكم .

لوكا

: كلام في محله يا شاويش .

ميدفيديف : اسمع . أنا لم أصبح شاويشاً بعد ، ولكن

لوكا

: ما هذا ؟ ان مظهرك يدل

(ضحكة واضطراب في الردهة .

تسمع صيحات مختنقة)

ميدفيديف

: مشاجرة ؟

بينوف

: يبدو هذا .

كفاشنيا

: سأذهب لأرى .

ميدفيديف

: لا بد أن اذهب أنا أيضاً . أوه ... الواجب !

لست أدري لماذا يجب أن نخلص من يتشاجرون بعضهم عن بعض . سيكفون عن القتال من تلقاء انفسهم عندما يشعرون بالتعب . الأفضل أن نتركهم يصفع بعضهم بعضاً كما يحلو لهم . سيظل ذلك أمراً يتذكرونه ولن يتلهفوا على القتال مرة أخرى .

بينوف

: (ينزل من على مصطبته) تحدث الى رئيسك

عن هذا .

٦٨

كوستليوف : (يصفق الباب فيفتحه ويصيح) أبرام ! تعال

بسرعة ! ناتاشا في قبضة فاسيليسا . ستقتلها . أسرع .

(كفاشنيا وميدفيديف وبينوف

يندفعون الى الردهة . يهز

لوكا رأسه ويحلق وراءهم)

أنا

: آه يارب ! مسكينة يا ناتاشا !

لوكا

: من الذين يتقاتلون ؟

أنا

: صاحبنا الملك . شقيقتان .

لوكا

: (ذاهباً الى أنا) وعلام يتقاتلان ؟

أنا

: لا شيء على وجه الخصوص . كل ما في الأمر ان

نشاطهما زائد عن الحد .

لوكا

: ما اسمك ؟

أنا

: أنا . أنا أطيل النظر اليك ... أنت تذكرني

بأبي ... حنون وطيب .

لوكا

: قاسيت كثيراً في هذه الدنيا . وذلك ما يجعلني

حنوناً هكذا (تصدر عنه ضحكة متقطعة) .

ستار

٦٩

www.liilas.com

الفصل الثاني

(المنظر السابق . في المساء . ساتين ، وكريقوى
زوب ، والبارون ، والتتري يلعبون الورق بالقرب
من الفرن . بينما كليش والمثل يتفرجان .
بينوف وميدفيد يلعبان الشطرنج جالسين
فوق مصطبة بينوف . لوكا جالس الى جوار انا .
يضيء النزل مصباحان . احدهما معلق على
الحائط بالقرب ممن يلعبون الورق . والثاني فوق
مصطبة بينوف) .

التتري : سألعب دوراً آخر . سيكون آخر دور .

بينوف : زوب ! غن لنا أغنية !

(يغنى)

كل يوم الشمس تظهر ...

زوب : (يغنى معه) .

وزنزانتى كئيبة وسودة ...

التتري : (يخاطب ساتين) فنط الورق . فنطه جيداً .

فنحن نعرف طريقتك في اللعب .

- سنتين : هذه عادة تعودنا عليها .
 ميدفيديف : ملك !
 بينوف : وأنا أيضاً . فما رأيك ؟
 أنا : وهأنذا الآن أموت ...
 كليش : هل رأيت ؟ هل رأيت ؟ اخرج من اللعب يا حسن .
 أخرج من اللعب قلت لك .
 الممثل : ألا يستطيع هو أن يفكر لنفسه ؟
 البارون : حاسب يا أندريه ، والا قذفت بك الى جهنم !
 التتري : هيا . فرق من جديد . تيجي تصيده يصيدك .
 هذه هي حالي .

(يهز كليش قبضته

ويتجه الى بينوف)

- أنا : أسائل نفسي دائماً : يا رب ، هل يستمر هذا العذاب في الآخرة أيضاً ؟ هناك أيضاً ؟
 لوكا : لا . لا . لن تتعذبي هناك يا عزيزتي . نامي في سلام . سسيكون كل شيء على ما يرام . ستستريحين هناك كل الراحة . عليك بمزيد من الصبر ... علينا جميعاً بالصبر ... كل على طريقته .

(ينهض ويسير نحو المطبخ

في خطوات قصيرة سريعة)

- بينوف : بين ونهار الحارس يزغر
 زوب : } معا { آ ... ه
 أنا : يراقب الزنزاة السوداء .
 أنا : مشاجرات ... اهانات ... لا شيء غير ذلك .
 هذا هو كل ما رأيته ... كل ما عرفته .
 لوكا : يا عزيزتي المسكينة ! لا تجزعي !
 ميدفيديف : آيه ! لماذا هذه النقلة ؟ حاسب !
 بينوف : آه ...
 التتري : (يهز قبضة يده في وجه ساتين) لماذا تخفي هذه الكروت ؟ هه ؟ أنت يا ملعون ...
 زوب : لا داعي للغضب يا حسن . فهما سيفشان في اللعب على أي حال . غن يا بينوف . غن .
 أنا : لم أكل أبداً الى حد الشبع ... كنت دائماً أعد كل كسرة خبز أكلها ... كنت دائماً ارتعد من الخوف خشية أن أكل أكثر مما يأكل الشخص الآخر ... لم ألبس أبداً الا الخرق البالية .
 لماذا ؟
 لوكا : يا مسكينة ! هل أنت متعبة ؟ سيكون كل شيء على ما يرام .
 الممثل : (مخاطباً زوب) ارم الولد ... الولد يا خايب !
 البارون : ونحن معنا الشايب .
 كليش : دائماً ورقهم أحسن من ورقكم !

(يبصق التتري غاضباً)

فضحك منه الآخرون)

زوب : (دون أن يتزعج) أنت مجنون يا حسن . الا تستطيع
أن ترى أنهما اذا حاولا أن يلعبا بشرف ، ماتا جوعاً
في ثلاثة ايام ؟

التتري : لا يهمنى هذا . لا بد أن يعيشوا بشرف .

زوب : سنتركك لأوهامك . هيا يا بينوف . لنذهب
لشرب الشاي .

بينوف : (يغنى) آه ... من سلاسل الحديد ...

زوب : وآه ... من حارس السلاسل ...

زوب : هيا يا حسن .

(يخرج وهو يغنى)

سلاسل حديد لا تنكسر ولا تنفك .

(يهز التتري قبضته في وجه

البارون ثم يخرج في اثر زميله)

ساتين : (يخاطب البارون ضاحكاً) مرة أخرى يا صاحب

الشرف الشريف ينكشف أمرك . چنتلمان مثقف

مثلك ، لا يعرف كيف يخفى الكرت في كفه ؟

البارون : (يهز كتفيه) لا أدري كيف حدث ذلك !

الممثل : تنقصك الموهبة . أنت لاتثق بنفسك . بدون هذه

الثقة ... لا شيء . فشل .

ميدفيديف : معى حصان ، ومعك اثنان .

(يغنيان)

راقب زنزانتي راقب ...

انا مش حاهرب أبداً ...

انا عاوز نسيم الحرية ...

آ ... ه ... آ ...

لكن السلاسل ثقيلة عليه ...

: (صائحاً) آها ! تخبيء الكرت في كحك !

: (في شيء من الارتباك) وأين تنتظر منى أن أضعه ؟

في انفك ؟

: (محاولاً اقناعه) أنت غلطان يا حسن . لم يحاول

أبداً أن ...

: آه ، فهمت . غش . لن ألعب !

: (يلم الورق) طيب ، أخرج يا حسن . كنت تعلم

أنا نغش . فلماذا لعبت معنا ؟

: خسر عشرين كويك ويصرخ كما لو كانت ثلاثة

روبلات ! ويسمى نفسه تترياً !

: (غاضباً) لا بد أن يكون اللعب سليماً .

: لماذا ؟

: ماذا تعنى لماذا ؟

: أعنى ما قلته ... لماذا ؟

: أنت لا تعرف ؟

: لا ... لا أعرف . هل تعرف أنت ؟

- بينوف : طار حصانك ! العجب .
- ميدفيدف : ما كان يجب ان انقل هذا الحصان ! في داهية !
- الممثل : فيما مضى ، قبل ان يتسمم بدنى بالكحول كانت لي ذاكرة جيدة أيها العجوز . أما الآن ... فقد انتهى كل شيء بالنسبة لي . كنت دائماً أرج المسرح بهذه الأبيات . وكان التصفيق يدوي كالرعد . وانت لاتعرف معنى التصفيق يا صديقي التصفيق كالقودكا . وكنت أخرج للجمهور واقف هكذا (يمثل) كنت اقف هكذا ... ثم ... (يصمت) لا أستطيع ان أتذكر ولا كلمة ... ولا كلمة . وتلك كانت قصيدتي المفضلة . هذه مسألة مخزنة ، أليس كذلك يا عجوز ؟
- لوكا : هي مخزنة فعلاً ما دامت كانت قصيدتك المفضلة . انت تسكب روحك في الشيء الذي تفضله .
- الممثل : أنا سكبت الخمر في روحي يا عجوز . أنا هالك . ولماذا ؟ لانني لم اكن اثق بنفسى . أنا انتهيت .
- لوكا : هذا لا شيء . كل ما عليك ان تفعله هو ان تعالج نفسك . انهم يشفون الناس من الادمان الآن ، ألم تسمع بذلك ؟ يشفونهم بدون مقابل . لقد فتحوا مركزاً للعلاج حيث يعالجونهم مجاناً .

- بينوف : ومع ذلك تستطيع ان تكسب ان كنت بارعاً . الدور عليك .
- كليش : أنت خسرت بالفعل يا أبرام اقاتش !
- ميدفيدف : لا تتدخل في هذا ! سامع ؟ اخرس !
- ساتين : المكسب ٥٣ كوپك .
- الممثل : لي فيها ثلاثة . وماذا أفعل بثلاثة كوپك ؟
- لوكا : (آتياً من المطبخ) الآن وقد جردتم التتري من نقوده ، ستذهبون الى الشرب على ما أظن ؟
- البارون : تعال معنا .
- ساتين : أحب ان أرى ما تكون عليه حالك وانت سكران ؟
- لوكا : لن أكون خيراً منى وأنا في وعيى .
- الممثل : تعال معنا أيها العجوز . سأسمعك بعض القصائد .
- لوكا : وما هذا ؟
- الممثل : شعر .
- لوكا : شعر ؟ وما حاجتى الى الشعر ؟
- الممثل : يمكن ان يكون ممتعاً . ويمكن ان يكون حزيناً .
- ساتين : هل أنت آت أيها الشاعر ؟
- (يخرج مع البارون)
- الممثل : أنا آت . سألق بك . استمع الى هذا أيها العجوز . هذه أبيات من قصيدة . أوه ... لا أستطيع ان أتذكر البداية . لا أستطيع ان أتذكر (يملك جبهته) .

لوكا : (يذهب اليها) طيب . سيكون بيننا حديث لطيف .

(يرقبهما كليش ثم يذهب الى زوجته في صمت . ينظر اليها ويأتي بعض الحركات بيديه كما لو كان يريد أن يقول شيئاً) .

لوكا : ماذا بك يا اخ ؟

كليش : (لا يكاد يبين) لا شيء .

(يتجه بطيئاً نحو باب الردهة حيث يقف امامه متردداً بضع ثوان ، ثم يخرج بغتة)

لوكا : (يتبعه بعينيه) موقف صعب بالنسبة لزوجك هذا .

أنا : لا أستطيع أن أفكر فيه الآن .

لوكا : هل كان يضربك كثيراً ؟

أنا : بمنتهى القسوة . بسببه صرت الى هذه الحال .

بينوف : كان لزوجتي عشيق . الوغد ! كان يجيد لعب الشطرنج .

ميدفيديف : مممم . . .

أنا : جدى . . . أرجوك . . . كلمنى . . . انا فى حال سيئة جداً . . .

لوكا : هذا لا شيء . فهو شعور طبيعى قبل الموت يا ابنتى . سيكون كل شيء على مايرام يا عزيزتى .

لأنهم يرون أن المدمن بشر ، ويسرهم أن يروه يريد الشفاء . اذهب هناك اذن . اذهب وجرب .

الممثل : (فى تفكير) أين ؟ أين هذا المكان ؟

لوكا : فى مدينة . . . مدينة لا أذكر اسمها . اسمها

غريب . انتظر . . . على أى حال ، سأذكر

الاسم . وفى نفس الوقت استعد . تخل عن

الغودكا . سيطر على نفسك وتجلد . وعندئذ

ستذهب للعلاج وتبدأ الحياة من جديد . ألن يكون

ذلك رائعاً ؟ من جديد ! صمم وانو . مرة واحدة .

بلا رجعة .

الممثل : (مبتسماً) من جديد ! أبداً من جديد ! نعم .

هذا يبدو رائعاً . من جديد ! (يضحك) طبعاً !

أستطيع أن أفعل ذلك . ألا تظن أننى أستطيع أن

أفعل ذلك ؟

لوكا : بالطبع تستطيع . يستطيع الرجل أن يفعل أى

شئ ، اذا كان لا بد من فعله .

الممثل : (كما لو كان يستيقظ فجأة) أنت مهفوف بعض

الشيء ، اليس كذلك يا عجوز ؟ الى اللقاء الآن

(يصفر) الى اللقاء يا عجوز (يخرج) .

أنا : يا جدى .

لوكا : ماذا يا عزيزتى ؟

أنا : كلمنى .

لا تفقدى الأمل . اسمعى ستموتين الآن
... هـ ... ويكون كل شيء هادئاً آمناً . لن
تجدى ما تخشيه بعد الآن ، لا شيء تخافينه
بالمرة . فنامى الآن فى هدوء وسلام . فالموت
رحيم بنا نحن الفانين . الموت يمحو كل الغضون .
نعم . ولذلك يقولون عنه انه راحة أبدية . وهذه
هى الحقيقة يا عزيزتى ، فأين يتسنى لانسان أن
يجد راحة فى هذه الدنيا ؟

(يدخل پيل . كان يشرب .
يبدو أشعث الشعر ، مكتئباً .
يرتمى على احدى المصاطب
بجوار الباب حيث يجلس
سائتاً بلا حراك)

انا : ولكن فى هذا العالم الآخر . . . هل نتعذب أيضاً ؟
لوكا : لن يكون هناك شيء من ذلك . لا شيء أبداً .
ما عليك الا أن تصدقينى . هدوء وسلام ولا شيء
غير ذلك . سيستدعونك أمام الرب ويقولون له :
هذه خادمك المطيعة المؤمنة جاءت اليك .
ميدفيدىف : (بشدة) وكيف تعرف ما سيقولونه هناك ؟ أمرك
عجيب !

(عند سماع صوت ميدفيدىف ،
يرفع پيل رأسه ويصغى)

لوكا : ما دمت أقول شيئاً فلا بد أننى أعرفه
يا شاويش . . .

ميدفيدىف : (هادئاً) مم . . . ربما . أظن هذا يدخل فى
نطاق معرفتك . ولكننى قلت لك انا لست
شاويش . لم أصبح شاويش بعد .

بينوف : هذا هو الوثب العالى .

ميدفيدىف : يا ابليس ! أرجو أن . . .

لوكا : وسيشملك الله بعطفه ورحمته ويقول : بالطبع انا

اعرف انا . وسيقول : خذوا انا الى الجنة . نعم
هذا ما سيقوله . دعوها تأخذ نصيبها من الراحة
فانا أعرف ما لقيته فى حياتها من شقاء . انا أعرف
مقدار تعبها . فليكن لها الآن الأمن والسلام .

انا : (تشهق) أوه ، جدى . . . يا جدى العزيز . . .
لو كان الامر كذلك حقاً ! لو كان هناك . . . أمن
. . . وسلام . . . فلا أشعر بشيء من . . .

لوكا : لن تشعري بشيء يا عزيزتى . لا شيء بالمرة .
صدقينى . يجب أن تموتى الآن وانت سعيدة
دون أن تخشى شيئاً . فالموت كما قلت لك يا ابنتى
أب رحيم بنا نحن أبناءه .

انا : ولكن . . . ربما . . . ربما استعيد صحتى ؟

لوكا : (يتنسم مستهيناً) لماذا يا عزيزتى ؟ لتعذبى
من جديد ؟

لوكا : اظن هذا .
بينوف : هذا يضع حداً لسعالها . سعال فظيع . الوثب العالى !
ميدفيدف : اوه ! فليأخذك الشيطان !
پيل : أبرام !
ميدفيدف : من أذن لك أن تنادينى باسمى الاول ؟
پيل : أبرام . هل ناتاشا مريضة ؟
ميدفيدف : وما دخلك فى هذا ؟
پيل : من الخير أن تخبرنى . هل ضربتها فاسيليسا ضرباً شديداً ؟
ميدفيدف : لا شأن لك فى هذا . هذه مسألة عائلية . من أنت حتى تتدخل فى ذلك ؟
پيل : بغض النظر عنى أكون ، أستطيع أن أجعل نظرك لا يقع على ناتاشا أبداً إذا شئت أنا هذا .
ميدفيدف : (يترك الشطرنج) ماذا ؟ ماذا تقول ؟ الى من تتكلم ؟
ناتاشا بنت أختى . يا لص !
پيل : قد أكون لصاً . ولكنك لم تضبطنى .
ميدفيدف : انتظر . سأضبطك . سريعاً .
پيل : إذا ضبطتنى ، جاءت نهاية عشك الصغير هذا . هل تظن أننى لن افتح فمى فى المحكمة ؟ سيكشف الذئب عن مخالفته . سيسألوننى : من الذى علمك كيف تسرق وذلك على الأماكن التى تسرقها ؟

انا : لاعيش ... ولو قليلا ... ولو اطول قليلا ... ما دمت تقول انه لا يوجد هناك عذاب ... فانا أستطيع أن أتحمل الحياة هنا ... أستطيع .
لوكا : لن يكون هناك شىء أبداً . كل ما ...
پيل : (ينهض) أنت على حق . ولكن ربما ... تكون مخطئاً .
انا : (فرجة) يا حفيظ ! يا حفيظ !
لوكا : ماذا تقول ايها الرجل النبيه ؟
ميدفيدف : من الذى يصيح ؟
پيل : (يتجه اليه) انا . فماذا تريد ؟
ميدفيدف : يجب الا تصيح . هذا هو ما أريد . يجب أن يتصرف الانسان فى هدوء
پيل : جعجاع ! وأنت خالهما ! هوه ... هوه !
لوكا : (يخاطب پيل لاهتاً) كف عن الصياح . هل تسمعنى ؟ هذه المرأة تموت . لقد اصفر لون شفيتها فعلاً . دعها فى حالها .
پيل : احتراماً لك يا جدى ! أنت رجل شاطر يا جدى . تكذب ببراعة . ومن الجميل الاستماع الى حكاياتك الخرافية . هيا ... استمر فى الكذب . لا بأس . فما أقل الأشياء السارة التى نسمعها فى هذه الدنيا .
بينوف : هل صحيح أنها تموت ؟

حاسب ! لا بأس بأن تكون شجاعاً عندما تخرج الى
الغابات لتجمع « عيش الغراب » . ولكن الشجاعة
لا معنى لها هنا . سيقطعون رأسك في غمضة عين .

بيبل : اوه ، لا . لن يفعلوا ذلك . لن يستطيع أحد أن
يقضى على رجل من « باروسلاقل » بيديه
المجردتين . أما إذا أرادوها معركة ، كان لهم
ما أرادوا .

لوكا : اسمع ، الا ترى من الأفضل أن تغادر هذا المكان
يا بني ؟

بيبل : والى أين اذهب ؟ اجبني على هذا السؤال .

لوكا : سيبيريا مثلاً .

بيبل : لا ، لست أنا الذي يذهب الى سيبيريا . سأنتظر
الى أن يرسلوني اليها مجاناً .

لوكا : اسمع نصيحتي وسافر الى سيبيريا . فهناك
ستسلك الطريق المستقيم . فهم هناك في حاجة
الى ناس مثلك .

بيبل : طريقى مرسوم لى من زمان . فقد قضى أبى معظم
حياته فى السجن وأمرنى بأن اقتدى به . ومنذ
صغرى يسمينى الناس « اللص » أو « ابن اللص » .

لوكا : سيبيريا مكان جميل . أرض ذهبية . وإذا كان
الرجل قوياً وذا عقل راجح ، استطاع أن يشق
طريقه وان يترعرع فى ذلك المكان .

مشكا كوستليوف وزوجته . من الذى كان يتلقى
مسروقاتك ، مشكا كوستليوف وزوجته .

ميدفيديف : أنت كذاب ! لن يصدقك أحد !

بيبل : بل سيصدقوننى لأن هذه هى الحقيقة . وسأجر
رجلك أنت أيضاً ... هه ! سأقضى عليكم جميعاً
يا أولاد الزنا ! ستري !

ميدفيديف : (مرتعباً) كذاب ! أنت كذاب ! هل أسأت اليك
أنا أبداً ؟ تهاجمنى كالكلب المسعور !

بيبل : وهل أحسنت أنت الى أبداً ؟

لوكا : ممم ...

ميدفيديف : (الى لوكا) علام تزوم ؟ ما دخلك فى هذا ؟ هذه
مسألة عائلية .

بينوف : (الى لوكا) ابعده عن هذا . حبل المشنقة ليس لك
ولا لى .

لوكا : (ملاطفاً) نعم . كنت أريد أن أقول ان الشخص
الذى لا يحسن الى جاره ، يسىء اليه .

ميدفيديف : (وقد فاتته هذه الحكمة) نحن هنا ... نحن كلنا
نعرف أحدنا الآخر . ولكن أنت ... من أنت ؟
(ينصرف غاضباً)

لوكا : يبدو أن السيد غاضب . ان علاقاتكم هنا ايها
الاخوان فيها شيء من اللخبطة .

بيبل : لقد جرى ليخبر فاسيليسا .

بينوف : أنت أحمق يا قاسيا . تريد أن تظهر شجاعتك ؟

بييل

: لماذا تقص هذه الاكاذيب ايها الرجل العجوز ؟

لوكا

: ايه ؟

بييل

: اصم ! لماذا تقص هذه الاكاذيب ؟

لوكا

: ما هي الاكاذيب التي قصتها ؟

بييل

: كل ما تقوله كذب . كل شيء بالنسبة لك جميل

ورائع : هذا المكان ، وذلك المكان . كله كذب .

ما الذي يجعلك تقص هذه الاكاذيب ؟

لوكا

: كل ما عليك هو ان تصدق ما اقوله وان تذهب

الى هناك لترى بنفسك . وعندئذ ستشكرني .

لماذا تبقى هنا ؟ ولماذا تتحرق شوقاً الى معرفة

الحقيقة ؟ قد تنقلب الحقيقة فاساً تحطم رأسك .

بييل

: سيان عندي . اذا كانت فاساً ، فهي فاس .

لوكا

: يا احمق ! لا معنى لان تقتل نفسك .

بينوف

: علام تتناقشان ؟ هل تسعى وراء الحقيقة يا فاسيا ؟

لماذا ؟ أنت تعرفها دون ان يخبرك بها احد . كلنا

نعرفها .

بييل

: لا داعي لنعيبك هذا . فليخبرني هو . اسمع

ايها العجوز ... هل يوجد اله ؟

(يتنسم لوكا دون ان يقول شيئاً)

بينوف

: الناس اشبه بقطع من الخشب طافية على سطح

الماء ... وهذه القطع تتطاير بينما يجرى بناء

البيوت .

بييل

: تكلم ... هل يوجد اله ؟ اجب .

لوكا

: (في هدوء) يوجد ، اذا كنت تؤمن بوجوده .

ولا يوجد ، اذا لم تكن تؤمن بوجوده . ان ما تؤمن

به هو الذي يوجد .

(يحمق بييل في العجوز في عجب صامت)

بينوف

: انا ذاهب لاشرب الشاي . هل يأتي معي احد ؟

لوكا

: (الى بييل) فيم تحمق ؟

بييل

: لا شيء . اسمع . أنت تقصد ...

بينوف

: اذن سأذهب وحدي .

(يتجه نحو الباب فيلتقي بقاسيليسا)

بييل

: بعبارة اخرى ، أنت ...

قاسيليسا

: (الى بينوف) هل ناستيا هنا ؟

بينوف

: لا (يخرج)

بييل

: آه ، هذه هي .

قاسيليسا

: (ذاهبة الى انا) ما زالت حية ؟

لوكا

: لا تزعجها .

قاسيليسا

: ماذا تفعل أنت هنا ؟

لوكا

: أستطيع ان أرحل اذا أردت .

قاسيليسا

: (ذاهبة نحو باب غرفة بييل) فاسيا ، اريد ان

أحدثك في مسألة .

(يذهب لوكا نحو باب الردهة فيفتحه

ثم يصفقه فيفلق . يصعد بحذر فوق

احدى المصاطب ومنها الى الفرن)

- فاسيليسا : (لاهثة) هكذا . طيب ...
- پيل : وليس بينى وبينك ما نتحدث عنه . لا شيء بالمرّة . ابعدي عنى .
- فاسيليسا : هل احببت امرأة اخرى ؟
- پيل : وما شأنك فى هذا ؟ اذا كنت احببت امرأة اخرى فلن اطلب منك مساعدتى فى الحصول عليها .
- فاسيليسا : (بلهجة ذات مغزى) يا خسارة ! لعل فى استطاعتى أن اساعدك فى الحصول عليها .
- پيل : (بارتياح) الحصول على من ؟
- فاسيليسا : أنت تعرف من . لماذا التفابى ؟ أنا متمودة على الحديث الصريح يا فاسيا (تخفض صوتها) أنا لا أنكر ... أنك أهنتنى . كما لو كنت ضربتني بالكرباج بدون سبب وبدون هدف . قلت انك تحبني ، وعلى حين فجأة ...
- پيل : ليس على حين فجأة . كان هذا شعورى من زمن طويل . أنت لا قلب لك يا مرأة . لا بد أن يكون للمرأة قلب . نحن الرجال وحوش ، وأنتن لا بد ... لا بد أن تقمن بتهديتنا وتعليمنا . فماذا علمتني أنت ؟
- فاسيليسا : ما فات مات . أنا أدرك أن الشخص لا يملك من أمر نفسه شيئاً . اذا كنت لم تعد تحبني ، فسأقبل هذا . هكذا سيكون موقفى .

- فاسيليسا : (من غرفة پيل) فاسيا ، تعال هنا .
- پيل : لا رغبة لى فى هذا .
- فاسيليسا : ماذا حدث ؟ لماذا أنت غاضب ؟
- پيل : متضايق . سئمت كل هذا .
- فاسيليسا : سئمتنى أيضاً .
- پيل : نعم ، أنت أيضاً .
- (تحكم فاسيليسا الشال حول كنفها ضاغطة بيديها على صدرها . تذهب الى سرير آنا وتنظر من خلال الناموسية ثم تتجه الى پيل)
- پيل : قولى ما تريدن قوله .
- فاسيليسا : وماذا أقول ؟ لا أستطيع أن اجعلك تحبني ، وليس من طبيعتى الاستجداء . أشكرك لمصارحتى بالحقيقة .
- پيل : اية حقيقة ؟
- فاسيليسا : أنك سئمتنى . أم لعلها ليست الحقيقة .
- (يحدق فيها پيل دون أن يتكلم)
- فاسيليسا : الام تنظر ؟ الا تعرفنى ؟
- پيل : (وهو يتنهد) أنت جميلة جداً يا فاسيليسا (تضع يده على كتفه ولكنه يزيحها) ولكنك لم تفوزى بقلبي أبداً . عشت معك ، الى آخر ما هناك ، ولكننى لم احبك أبداً .

پیل

: اذن ، فقد انتهى ما بيننا ؟ سنفترق بسلام ، دون ضجة ؟ هذا حسن .

فاسيليسا

: اوه ، لا . انتظر لحظة . لا تنس اننى كنت دائماً آمل ان تساعدنى على طرح هذا العبء الثقيل عن كتفى . كنت اظن أنك ستساعدنى على الفرار من زوجى ، وخالى ، ومن هذه المعيشة كلها . ولعلنى لم اكن احبك كل هذا الحب ، بقدر ما كنت أحب هذا الأمل ، فكرتى هذه ! هه ؟ كنت انتظر لكى تنقذنى .

پیل

: لا انت مسمار ، ولا انا كماشة . انا أيضاً كنت اظن ان امرأة شاطرة مثلك ، نعم انت شاطرة ، انت ذكية ...

فاسيليسا

: **(تجاهد نفسها لكيلا تقترب منه)** فاسيا ، فليساعد كل منا الآخر .

پیل

: كيف ؟

فاسيليسا

: **(تفتصب الكلمات في صوت خفيض)** أختى ... أنا أعلم أنك تحبها .

پیل

: ولهذا تضربينها ؟ حاسبى يا فاسيليسا ! ارفعى يدك عنها .

فاسيليسا

: انتظر . لا تفضب . نستطيع ان نرتب كل شىء فى هدوء ، بدون غضب . ما رأيك فى ... فى ان تتزوجها ؟ سأعطيك بعض المال ، ٣٠٠ روبل .

٩٢

واذا حصلت على أكثر من ذلك اعطيته لك أيضاً ؟

پیل

: **(مبتعداً)** ماذا ؟ ماذا وراء ذلك ؟

فاسيليسا

: ساعدنى فى التخلص من زوجى . . . أبعد حبل المشنقة هذا عن رقبتى .

پیل

: **(يصفر صغيراً وقيماً)** اذن فهذا هو السبب ! اوه ! أنت فعلاً شاطرة . زوجك فى القبر ، وعشيقك فى السجن ، وانت ...

فاسيليسا

: فاسيا . لماذا تكون فى السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك ... ابحث عن أحد يفعل ذلك . وحتى لو فعلتها أنت نفسك ، فمن الذى سيعرف ؟ ناتاشا ... فكر ... سيكون معك مال ...

تستطيع ان تهرب ... سأكون انا حرة الى الابد ... أما عن أختى فسيكون من الخير لها ان تبتعد عنى . فمن الصعب على ان أراها طول الوقت .

ذلك يجعلنى أشعر بالحقد والمرارة بسببك .

لا أستطيع ان أمنع نفسى من ذلك . أنا أعذبها . أضربها . أضربها الى ان يبكى الناس ، حتى أنا ،

لرؤيتها . ولكننى أضربها بالرغم من ذلك ، وسأظل أضربها .

پیل

: أنت متوحشة . وتباهين بهذا .

فاسيليسا

: لا . أنا لا أتباهى . كل ما فى الأمر اننى أقول الحق . فكر ، يا فاسيا . لقد سجنوك مرتين

٩٣

بسبب زوجي هذا ... بسبب جشعه . انه
يمتص دمي كالعلقة . يمتص دمي من أربع سنين .
أى نوع من الأزواج هو ؟ ثم هو يعتصر ناتاشا ،
ويعكنن عليها ويناديها يا « شحاتة » . انه يسم
بدن كل واحد .

بيبل : أنت ماكرة .

فاسيليسا : المسألة واضحة كالشمس . اذا لم تفهم مرادى
فأنت اذن أحمق .

(يدخل كوستليوف في هدوء ويتسلل نحوهما)

بيبل : (الى فاسيليسا) اخرجى !

فاسيليسا : فكر (ترى زوجها) ماذا تريد ؟ هل تبحث عنى ؟

(يفرع بيبل وينظر الى كوستليوف

نظرات وحشية) .

كوستليوف : انتما هنا ... وحدكما ؟ تتحدثان ؟ هه ؟ (وعلى

حين فجأة يذق الأرض بقدمه ويبدأ فى الصراخ)

عليك اللعنة يا فاسيليسا ! أنت يا شحاتة ! (يشعر

الآن بالفرع من صراخ نفسه ومن الصمت البارد

الذى قوبل به هذا الصراخ) يارب ، اغفرلى ! أنت

تقوديننى الى الخطيئة مرة أخرى يا فاسيليسا !

هأنذا ابحت عنك فى كل مكان (يرفع صوته من

جديد) كان يجب أن تكونى فى سريرك الآن .

لقد نسيت أن تشعلى مصباح الأيقونة ، عليك

اللعنة ! يا حلوفة ! يا صعلوكة ! (يلوح نحوها

باصبع مرتعش . تشير فاسيليسا ببطء نحو باب

الردهة وعيناها مثبتتان على بيبل)

بيبل : (الى كوستليوف) اخرج من هنا . قلت لك

اخرج .

كوستليوف : (صائحاً) أنا صاحب هذا المكان . اخرج أنت

يا لص !

بيبل : (فى صوت مكتوم) قلت لك اخرج .

كوستليوف : اياك ! سأريك ! أنا س ...

(يمسك به بيبل من ياقته ويهزه . وفجأة

يسمع صوت شخص يتحرك فوق الفرن

ويتنأب بصوت عال مستطيل . بيبل يترك

كوستليوف الذى يجرى صائحاً نحو الردهة)

بيبل : (يقفز على المصطبة المجاورة للفرن) من هناك ؟

من فوق الفرن ؟

لوكا : (يطل برأسه) ايه ؟

بيبل : أنت ؟

لوكا : أنا . أنا بنفسى . أوه ، يارب السموات !

بيبل : (يفلق باب الردهة ويبحث عن الترياس دون

جدوى) اللعنة ! انزل يا عجوز !

لوكا : حالا ! نازل !

بيبل : (بخشونة) لماذا نمت فوق هذا الفرن ؟

لوكا : وأين كنت تريد أن انام ؟

أكثر مما كان في رأسي من شعر . ولكن فاسيليسا
 هذه أسوأ من أي غولة !
 : لست أدري هل أشكر أم ...
 : لا تقل شيئاً . لن تجد كلاماً خيراً من الذي
 قلته أنا . استمع إليّ . . . هذه الفتاة التي
 تحبها . . . ما عليك إلا أن تأخذ ذراعها وترحل .
 ابعد عن هنا . اذهب إلى أبعاد ما تستطيع .
 : (متجهماً) لا سبيل إلى معرفة الناس . . . أيهم
 طيب وأيهم شرير . لا سبيل !
 : وماذا تريد أن تعرف ؟ الشخص نفسه لا يبقى
 على حاله . المسألة تتوقف على قلبه وما به من
 مشاعر . فهو اليوم طيب ، وهو غداً شرير . أما
 إذا كانت هذه الفتاة قد استولت على قلبك حقاً
 فارحل معها وليكن ما يكون . والا ، فارحل
 وحدك . أنت ما زلت شاباً . أمامك متسع من
 الوقت لتحصل على امرأة .
 : (يمسك به من كتفيه) أصدقني القول . لماذا
 تقول لي هذا ؟
 : دعني . سألقى نظرة على أنا . كانت تتنفس
 بصعوبة من لحظة (يتجه إلى سرير أنا ، ويفتح
 الناموسية ، ثم ينظر ، ويلمسها . يرقبه بيل في
 نظرة مفكرة حائرة) ارحمها يا رب ! يا رحيم .
 تقبل روح خادمك أنا !

بيل
 لوكا

بيل

لوكا

بيل

لوكا

بيل : كنت خرجت إلى الردهة .
 لوكا : هذا مكان بارد لا يستطيع أن ينام فيه عجوز
 مثلي .
 بيل : هل . . . سمعت شيئاً ؟
 لوكا : طبعاً سمعت . كان لابد أن أسمع . هل تظن أنني
 أصم ؟ أنت سعيد الحظ يا رجل ! أنت سعيد
 الحظ !
 بيل : (في ارتياح) لماذا تقول هذا ؟
 لوكا : من حسن حظك أنني نمت فوق هذا القرن .
 بيل : لماذا أصدرت كل هذه الضجة ؟
 لوكا : لم اطق الحرارة الشديدة . ولك أن تحمد الله على
 هذا . فقد قلت لنفسي أن هذا الشاب سينسى
 نفسه وسيخمد أنفاس الرجل .
 بيل : كنت سأخمد أنفاسه بالتأكيد . أنا أكرهه . . .
 لوكا : أنا عارف . المسألة سهلة جداً . كثيراً ما يزل
 الناس زلات كهذه .
 بيل : (مبتسماً) لعلك زلت هذه الزلة في يوم من الأيام !
 لوكا : اسمع أيها الشاب ، اسمعني . ابعد عن هذه
 المرأة ، احترس ! احترس ! هي ستتخلص من رجلها
 هذا بدون مساعدتك ، وبطريقة أحسن . لا تصغ
 إليها ، لا تصغ إلى هذه الشيطانة . انظر إلى . . .
 انظر إلى رأسي . . . ليس فيها ولا شعرة . وما
 السبب ؟ النساء ! لقد عرفت من النساء في شبابي

پیل

: (لاهتاً) الموت ؟ (يجاهد نفسه ويتقدم نحو
السريير ليتمكن من رؤيتها ولكنه لا يستطيع أن
يبلغ السريير)

لوکا

: (برقة) انتهى الآن عذابها . أين زوجها ؟

پیل

: في البار على ما أظن .

لوکا

: لا بد أن يعلم .

پیل

: (يرتعد) أنا أكره الجثث .

لوکا

: (ذاهباً الى الباب) ولماذا تحبها ؟ هم الأحياء

الذين يجب أن نحبهم ! الأحياء لا الأموات !

پیل

: سأخرج معك .

لوکا

: تخاف من الجثث ؟

پیل

: أكرهها .

(يهرولان الى الخارج . المسرح خال

ساکت . تأتي من وراء باب الردهة

أصوات غير واضحة . وفي النهاية

يدخل الممثل)

الممثل

: (لا يفلق الباب بل يقف عند العتبة متكئاً على

الباب وهو ينادى بصوت عال) يا عجوز ! أين

أنت ؟ لقد تذكرت الأبيات . اسمع (يتقدم

خطوتين بغير ائزان ثم يتخذ موقفاً تمثلياً)

إذا لم نهتد الى السبيل الذي يؤدي ...

الى مملكة الحقيقة المقدسة

فالخير اذن في العقل المجنون ...

الذي يجلب للناس الأحلام المحلقة ...

(تظهر ناتاشا بالباب خلف الممثل)

: يا عجوز !

الممثل

إذا كفت الشمس غداً ،

عن اضاءة الأرض باشعاعها ،

فغداً تستضيء الدنيا ،

بشخص يحلم أحلام الجنون .

: (تضحك) عبيط !

ناتاشا

: (يتلفت اليها) آه ، أنت ! أين العجوز ؟ الرجل

العجوز الطيب ؟ لا أحد هنا . وداعاً يا ناتاشا !

وداعاً !

الممثل

: (تدخل) تقول وداعاً قبل أن تقول مرحباً ؟

: (يعترض طريقها) أنا ... راحل . وعندما يأتي

الربيع ، لن أكون بين الأحياء .

: دعنى أمر . الى أين تذهب ؟

ناتاشا

الممثل

ناتاشا

الممثل

: بحثاً عن مدينة معينة . سعياً وراء العلاج . أنت

أيضاً لا بد أن ترحلى . يا أوفيليسا ، اذهبى الى

دير . هناك ، فيما يبدو ، يوجد مركز لعلاج

مدمنى الخمر . مكان رائع . كله مبنى من الرخام

... حتى الأرضية . براق جداً . ونظيف جداً .

والطعام موفور . كله مجاناً . أرضية رخام .

- بينوف : (ينشر بعض خرق قديمة فوق مصطبته) ما هذا ؟
 ماذا تقولين ؟
- ناتاشا : كنت أكلم نفسي .
- بينوف : تنتظرين قاسيا ؟ حاسبي ! ستموتين بسبب
 قاسيا هذا .
- ناتاشا : وهل يهم بسبب من أموت ؟ فليكن هو السبب .
 هو أحسن من كثيرين .
- بينوف : (يضطجع) هذا شأنك .
- ناتاشا : أحسن لها بالطبع أن تموت ... ولكن مسكينة !
 من أجل ماذا تعيش ؟
- بينوف : الأمر سواء بالنسبة إلينا جميعاً : نولد ، ونقضى
 حياتنا ، ثم نموت . سأموت . وانت كذلك .
 فلماذا نأسى لأحد ؟
- (يدخل لوكا والتتري وكريغوي زوب وكليش .
 كليش آخر الداخلين . يمشى ببطء وقد
 انحنى ظهره)
- ناتاشا : شش ! أنا ...
- زوب : عرفنا . فلترقد الآن في سلام ، بعد أن ماتت !
- التتري : (إلى كليش) لا بد أن نخرجها من هنا . لا بد أن
 نخرجها إلى الردهة . لا يمكن أن يبقى هنا
 أموات . هنا ينام الأحياء .
- كليش : (في لهجة هادئة) سنخرجها .

تصوري ! سأعثر على هذا المكان ، وأشفى ،
 وعندئذ ... أنا على وشك أن أولد من جديد ...
 كما قال الملك ... الملك لير . اسمي المسرحي هو
 « سقرتشكوف زاقولزكي » يا ناتاشا ، ولكن
 لا أحد يعرفه . لا أحد . وأنا هنا لا اسم لي .
 هل تدركين مبلغ الألم في أن يفقد الرجل اسمه ؟
 حتى الكلاب لها أسماء ...

(تتجاوز ناتاشا الممثل بمسافة مأمونة)

ثم تتجه إلى سرير أنا وتنظر خلال

(الناموسية)

- الممثل : لا اسم ، لا رجل .
- ناتاشا : انظر ! يارب ! هي ميتة !
- الممثل : (يهز رأسه) لا يمكن !
- ناتاشا : (متراجعة) هي ميتة . انظر .
- بينوف : (بالباب) ينظر إلى ماذا ؟
- ناتاشا : أنا . ماتت .
- بينوف : أخيراً ، كفت عن السعال (يتجه إلى سرير أنا
 وينظر خلال الناموسية ثم ينهب إلى مصطبته)
 لا بد أن نخبر كليش . فهذا شأنه .
- الممثل : سأذهب أنا . لقد فقدت اسمها (يخرج) .
- ناتاشا : (في وسط الغرفة) وأنا أيضاً ... في يوم من
 الأيام ... سأكون مثلها ... أرقد في قبو مظلم
 ... يداس بالأقدام ...

- ناتاشا : (تتجه الى بينوف) الآن سأحلم بها . أنا دائماً
احلم بالموتى . وأخشى أن أذهب الى البيت حدى .
انردهة مظلمة .
- لوكا : (يسير وراءها الى الخارج) الأحياء هم الذين
يجب أن تخشى ، صدقيني .
- ناتاشا : اصحبنى الى الخارج يا جدى .
- لوكا : تعالى . تعالى . سأصحبك (يخرجان . صمت) .
- زوب : أو هو ! يا حسن ! الربيع على الأبواب . أخيراً
سنشعر بالدفع . بدأ الفلاحون فى الريف فى
اصلاح محاربتهم ومجاريفهم ، يستعدون لحرث
الأرض . ونحن ؟ ايه يا حسن ؟ تشخر ؟ مسلم
ملعون .
- بينوف : التتر يجيدون النوم .
- كليش : (يقف وسط النزول يحملق فيما امامه بغباء)
ماذا أفعل الآن ؟
- زوب : اذهب فتم . هذا كل ما فى الامر .
- كليش : (بحنان) وهى ؟
- الممثل : (لا أحد يجيب . يدخل ساتين والممثل)
- الممثل : (صائحاً) يا عجوز ! تعال هنا يا خلى الوفى !
- ساتين : أفسحوا الطريق للمكتشف العظيم !
- الممثل : لقد اتخذت قراراً لا رجعة فيه . . يا عجوز !
أين هذه المدينة ؟ أين أنت ؟

- (يتجهون جميعاً الى السرير . يحملق كليش
فى زوجته من فوق أكتاف الآخرين)
- زوب : (الى التترى) هل تظن أن سيكون لها رائحة ؟
لم يبق منها شيء يبعث رائحة . فقد جف بدنهما
وهى ما تزال حية .
- ناتاشا : يا رب ! ألا تشعرون بالأسف على الأقل من
أجلها ! قولوا كلمة طيبة واحدة . ولكن ليس أنتم !
- لوكا : لا تبالي بهم يا عزيزتى . كيف تنتظرين منهم . . .
كيف تنتظرين من أى واحد منا أن يرثى للموتى
إذا كنا لا نرثى للأحياء . بل نحن لا نرثى حتى
لأنفسنا ، فما بالك بالموتى ؟
- بينوف : (يتشاءب) لا تستطيعين أن تفزعى الموت بالكلام .
قد تفزعين المرض ، ولكن ليس الموت .
- التترى : (مبتعداً) نادوا الشرطة .
- كليش : لا . سيطلبون منى أن أدفنها ، وليس معى الا
اربعون كوپك .
- زوب : فى هذه الحالة ، أقترض بعض النقود . نستطيع
أن نجمع لك بعض المال . . . خمسة كوپك من
كل واحد . . . أى مبلغ يستطيع كل واحد أن
يدفعه . ولكن أسرع وأخطر الشرطة والاظنوا أنك
قتلتها .
- (يتجه ناحية المصاطب ويوشك أن يضطجع
بجوار التترى)

ساتين : سراب ! خدعك العجوز ! لا توجد مدينة كهذه .
لا مدينة . ولا ناس . ولا شيء كهذا .

الممثل : كذب !

التتري : (يقفز من مصطبه) أين المالك ؟ سأذهب الى
المالك . لا أستطيع أن أنام ، فلماذا ادفع النقود ؟
أموات ! سكارى !

(يخرج مهرولا . ساتين يصفر خلفه)

بينوف : (وقد دب اليه النعاس) ناموا يا اصدقائي . كفوا

عن الضجيج . المفروض أن ينام الناس بالليل .

الممثل : آه ! هنا يرقد جثمان . « لقد التقطت مصايدنا

جثماناً » . شعر . من « بيرانجيه » .

ساتين : (صائحاً) الجثمان لا يسمع شيئاً ! الجثمان

لا يحس شيئاً ! صيحوا ما شئتم ! فالجثمان

لا يسمع شيئاً !

(يظهر لوكا بالباب)

الفصل الثالث

www.liilas.com

ستار

(فناء خلفى تناثرت فيه القاذورات والأعشاب الطويلة . سور عال من الطوب الأحمر ينتقى مع منظر السماء . أمام هذا الحائط تنمو أعشاب أطول . الى اليمين سور داكن اللون من خشب الأشجار ، لعله لورشة أو اسطبل . الى اليسار بيت كوستليوف . النثرل في البدروم . البيت رمادى اللون ، متداع ، وقد أخذ الطلاء ينهار . يبدو البيت بزاوية ، بحيث يكاد الركن البعيد منه يصل الى الوسط في مؤخرة المسرح فلا يترك الا ممراً ضيقاً بين السور والبيت . للبيت نافذتان ، واحدة للبدروم في مقدمة المسرح ، والأخرى أعلى منها بنحو ست أقدام في مؤخرة المسرح . على مقربة من البيت كتلة خشب يبلغ طولها اثني عشر قدماً . والى جوارها مركبة جليد خشبية خرية مقلوبة . ألواح وكتل من الخشب مكومة بالقرب من البيت الى اليمين . النهار يقترب من غايته ، والشمس الفاربية تلقى بأشعتها وهجاً أحمر على السور . نحن في مطلع الربيع . والثلج لم يذب الا منذ قريب ، والأعشاب الطويلة لم تنبت لها براعم بعد . ناناها وناستيا جالستان على كتلة الخشب . لوكا والبارون جالسان على مركبة الجليد . كليش مستلق على كوم الأخشاب الى اليمين . نرى وجه بينوف من نافذة البدروم)

ناستيا

(تغمض عينها وتهز رأسها في ايقاع يلائم التنغيم

الذي تروى به روايتها) وهكذا جاء الى المديقة

بالليل ، الى القصر الصيفي ، حسب الخطة التي

رسمناها . وكنت قد طال انتظاري حتى صرت

أرتعش من الخوف والأسف . وكان هو أيضاً

يرتعش ، وكان شاحب اللون ، وفي يده مسدس . .

ناتاشا

(تمضغ بذور نبات عباد الشمس) اذن فلا بد أن

يكون صحيحاً ما يقولونه عن اليأس الذي يشعر

به الطلبة .

ناستيا

: ثم قال لي في صوت مرعب « يا حبيبتي الغالية . .

بينوف

: فهو! غالية ، هه ؟

البارون

: اسكت . اذا لم يعجبك هذا الحديث فلا تسمع

اليه . ولكن لا تقاطع اكاذيبها . هه ، وبعد ذلك ؟

ناستيا

: قال لي « يا غالية ، يا حبيبتي . لن يوافق والداي

أبداً على أن أتزوجك . فهما يهددان بأن يلغناني

الى الأبد لحبى اياك . ولهذا السبب لا بد أن

أنتحر » . وكان معه ذلك المسدس بكل ما فيه من

رصاص . ثم قال « وداعاً يا حبيبة قلبي . لن

أتحول عن قرارى . لا أستطيع العيش بدونك » .

فقلت له « يا صديقي العزيز ، يا راعول » .

بينوف

: (في دهشة) ماذا ؟ غول ؟

البارون

: (يضحك بالضحك) لقد نسيت يا ناستيا ! آخر مرة

كان اسمه جاستون .

ناستيا

: (تقفز) اسكتوا يا حثالة . انتم يا متشردون .

انتم لا تفهمون الحب . . . الحب الصحيح . اما

انا . . . فقد عرفته . . . الحب الصحيح (الى

البارون) انت تافه . انت وتعليمك . أنت الذي

كنت تشرب القهوة في السرير .

لوكا

: اسمعوا . لا تقاطعوها . دعوها تتم قصتها .

الكلمات لا تهم . وانما المهم هو ما وراء الكلمات . . .

هذا هو المهم . استمرى يا ابنتى . لا تبالي بهم .

بينوف

: غراب بريش طاووس . طيب . فلنستمع الى

الباقى .

البارون

: استمرى .

ناتاشا

: لا تلتفتى اليهم . من هم ؟ انهم غيورون لانهم

ليس عندهم ما يروونه عن انفسهم .

ناستيا

: (تجلس) لا أريد أن أستم . لن أحكى أكثر من

ذلك . ما داموا لا يصدقوننى ويسخرون منى . . .

(تسكت فجأة ، لحظة ، ثم تغلق عينها وتغمض في

قصتها بصوت عال منغل ، وهى تصفق بيديها

في ايقاع كما لو كانت تسمع الى موسيقى بعيدة)

وقلت له : يا حبة عيني ! يا شمس روحى ! ولا انا

أستطيع العيش في هذه الدنيا بدونك ، لاننى

أحبك من كل روحى ، وسأظل أحبك ما ظل هذا

القلب ينبض في صدرى . ولكن لا تقطع حياتك ،

تلك الحياة التي يحتاج اليها والداك العزيزان اشد الحاجة ، فأنت كل ما لهما في الحياة . اتركنى .
 فالأفضل أن تنقضى حياتى في اللهفة عليك يا حبيبى .
 أنا وحيدة . أنا ... أنا من هذا النوع . دعنى
 أمض الى حتفى . فالأمر عندى سواء . أنا
 لا أساوى شيئاً . لم يبق لى شىء . لا شىء ...
 لا شىء ...

(تطفى وجهها بيديها وتبكي في صمت)

ناتاشا : (تشيح بوجهها وتخاطبها بعطف) لا تبكى .
 لا تبكى .

(يتسهم لوكا ويربت على راس ناتاشا)

بينوف : (ضاحكا) فتاة رائعة !

البارون : (ضاحكاً هو الآخر) هل تظن أن هذا صحيح
 يا جدى ؟ هذا كله منقول من رواية «الحب القاتل» .
 كلام فارغ . دعها في حالها .

ناتاشا : وما شأنك أنت ؟ اغلق فمك ما دام الله قد اراد لك
 أن تصير الى ما صرت اليه .

ناستيا : (نائرة) أنت لا روح لك ! أنت لا قلب لك ! أين
 قلبك ؟

لوكا : (ياخذ بيد ناستيا) سنذهب من هنا يا عزيزتى .
 لا تبالى بهم . أنت التى على حق ، وليسوا هم .
 أنا فاهم . ما دمت تعتقدين أنك جربت ذلك الحب

الصحيح ، فلأبد أن تكونى جربته بالفعل . نعم ،
 أنت جربته فعلا . ولكن لا تفضى من الشخص
 الذى تعاشرينه . لعل الغيرة هى التى تجعله يسخر
 منك . ولعله لم يعرف الحب الصحيح أبداً . بل
 لعله لم يعرف أى نوع من أنواع الحب على الإطلاق .
 تعالى .

ناستيا : (تضغط صدرها بيديها) صدقنى يا جدى !

أقسم لك بأن هذا حدث . كل ما قلته . كان
 طالباً ... فرنسياً . كان اسمه جاستون .
 كانت له لحية طويلة سوداء . وكان يلبس حذاءً
 طويلاً . فلأمت . فى هذه اللحظة اذا لم أكن قلت
 الحق ! كم كان يحبنى ! كم كان يحبنى !

لوكا : فاهم ، فاهم ! أنا أصدقك . حذاء طويل ! ياسلام !
 وكنت تحبينه أيضاً (يختفيان)

البارون : عاهر غبية ! قلبها طيب ، ولكننى لم أر اغبى منها !

بينوف : لماذا يكذب أى شخص بهذا الشكل ؟ وتقسم بأنه
 الحق ، كما لو كانت فى المحكمة !

ناتاشا : الكذب الذم من الصدق ! أنا أيضاً ...

البارون : أنت أيضاً ؟ ثم ماذا ؟

ناتاشا : أحلم وأحلم . وانتظر .

البارون : ماذا تنتظرين ؟

ناتاشا : (يتسهم دون وعى) لا أدرى . اظن أحلم بأن

غداً سيأتي ... فيأتي شخص ... شخص معين . أو يحدث شيء . شيء غير عادي . واطل انتظر . دائماً انتظر . ولكن عندما افكر في الأمر ، أقول لنفسي ، ماذا يمكن أن يحدث ؟
(صمت)

البارون : (بابتسامة صفراء) لا يوجد شيء لتنتظره . فأنا مثلاً . أنا لا أنتظر أي شيء . كل شيء انتهى . راح . انقضى . ثم ماذا ؟

ناتاشا : أو أرى نفسي أموت غداً على حين فجأة . وعندئذ أشعر بالبرد يسرى في داخل بدني . الصيف هو أحسن وقت تتخيل فيه نفسك ميتاً لأنه شهر الصواغق . ومن السهل أن يصعقك البرق .

البارون : أنت تعيشين عيشة بائسة . والغلظة غلظة اختك ... لها مزاج شيطاني !

ناتاشا : ومن الذي يعيش عيشة طيبة ؟ كل الناس يعيشون عيشة بائسة . أليس لي عينان ؟

كليش : (حتى الآن كان يرقد بلا حراك في عزلة عنهم ، ولكنه يقفز عند سماعه هذه الكلمات) كل الناس ؟ هذا كذب . ليس كل الناس . لو كان كل الناس كما تقولين ، لما كان الأمر سيئاً إلى هذا الحد . إذن لما كان يهمك ما أنت فيه .

بينوف : أي شيطان وخزك هذه المرة ؟ لماذا تصرخ هكذا ؟ (يرقد كليش ثانية وهو يتمتم لنفسه)

البارون : سأذهب لأصالح ناستيا . إذا لم أصلحها فلي تعطيني نقوداً لأشرب .

بينوف : ممم ... كم يحب الناس الكذب ! هذه ناستيا ! من الممكن أن تفهمها . لقد تعودت على أن تصبغ وجهها . ولذا تظن أنها تستطيع أن تفعل نفس الشيء بروحها . تستطيع أن تصبغ روحها باللون الأحمر . ولكن لماذا يكذب الآخرون ؟ لو كان مثلاً ؟ انه يكذب بدون أن يستفيد شيئاً من ذلك . هو الرجل العجوز ! لماذا يفعل ذلك ؟

البارون : (مستهزئاً وهو يخرج) كلهم أرواحهم رمادية اللون . وهم جميعاً يحبون أن يصبغوها بقليل من اللون الأحمر .

لوكا : (يدخل من عند الركن) لماذا اغضبت هذه الفتاة يا سيادة اللورد ؟ دعها تهناً في حزنها . إذا كانت تجد راحة في دموعها ، فما شأنك أنت ؟

البارون : هي فتاة غبية أيها العجوز . تشير أعصابي . هو اليوم راعول ، وغداً جاستون ، والقصة هي هي . على أي حال ، سأذهب لأصلحها (يخرج)

لوكا : نعم . كن لطيفاً ورفيقاً معها . فلن يضير الإنسان أبداً أن يكون لطيفاً مع الناس .

ناتاشا : أنت طيب القلب يا جدي ، ما الذي يجعلك رحيماً هكذا ؟

: رحيم ؟ لك رايك (موسيقى رقيقة صادرة عن
 اكورديون ، وغناء ياتيان من الجانب الآخر للحائط)
 لابد ان يكون في هذا العالم شخص رحيم . لابد ان
 نشعر بالمعطف على الناس . كان المسيح يحب كل
 الناس ، وقد طلب منا ان نقندي به . وانا اقول
 لكم ان من الممكن في كثير من الحالات انقاذ الشخص
 باظهار المعطف عليه قبل فوات الاوان . كما حدث
 لي مثلاً عندما كنت اعمل حارساً في مزرعة يملكها
 احد المهندسين بالقرب من مدينة « تومسك » .
 كانت هذه المزرعة تقع وسط الغابات . وكنا في
 الشتاء ... والمزرعة في غاية الروعة ... وانا
 وحدي في المزرعة . الى ان سمعت ذات يوم بعض
 الأصوات ... صوت شخص يقتحم طريقه .

فاتاشا

: لصوص ؟

لوكا

: نعم ، كانوا لصوصاً ، يسطون على المزرعة .
 التقطت بندقيتي وخرجت . ورأيتهما . كانا اثنين
 يفتحان النافذة . كانا منمكين فلم يرياني .
 وصحت فيهما « هيه . اخرجوا من هنا » . فتقدما
 مني ومعهما فأس . فصحت فيهما وانا أصوب
 بندقيتي نحو أحدهما أولاً ثم نحو الآخر ثانياً
 « اذا لم تقفوا مكانكما ، اطلقت النار » . واذا بهما
 يخران على ركبهما يتوسلان الى ان ادعتهما

يذهبان . ولكنني كنت عندئذ في أشد حالات
 الغيظ بسبب هذه الفأس . فقلت لهما « لقد
 امرتكما بالخروج ايها الشقيان فلم تخرجا . أما
 الآن فليذهب واحد منكما ويقطع فرعاً كبيراً من
 هذه الأشجار » . فلما جاء أحدهما بالفرع أمرت
 كلا منهما ان يرقد ليعطيه الآخر علة طيبة .
 وهكذا ضرب كل منهما الآخر . فلما انتهينا من
 ذلك قال لي « يا جدنا ، أعطنا شيئاً لنأكل بحق
 المسيح . فنحن نجوب هذه المنطقة ببطون
 خاوية » . هؤلاء هم اللصوص ! (يضحك) وهذه
 هي الفأس ! كلاهما رجل طيب . قلت لهما « لماذا
 لم تأتيا وتطلبنا مني شيئاً تأكلانه من البداية ؟ »
 فقالا انهما سئما السؤال والطلب . فقد طلبا
 وطلبنا ولكن لم يعطهما أحد شيئاً . وبعد ذلك
 أقاما معي طول الشتاء . كان أحدهما ، واسمه
 ستيبان ، يحمل البندقية ويخرج الى الغابة . أما
 الثاني ، واسمه ياكوف ، فكان مريضاً طول
 الوقت . كان دائماً يسعل . وقمنا نحن الثلاثة
 بحراسة المزرعة . فلما جاء الربيع قالا وداعاً
 يا جدي . ورحلا . اتجها الى الغرب .

فاتاشا

: هل كانا هارين من السجن ؟

لوكا

: نعم . كانا هارين من السجن . هارين من ذلك

المكان الذي نغيا اليه . كانا شابين يافعين . ولو لم تأخذنى الشفقة عليهما عندئذ فربما كانا قد قد قتلانى أو فعلا شيئاً سيئاً من هذا القبيل ، ولكن معنى ذلك المحاكمة فالسجن فسيبيريا . لماذا ؟ لا يمكن للسجن أن يعلم الشخص ما هو صواب . ولا يمكن لسيبيريا أن تعلم الشخص ما هو صواب . أما الانسان . . . الانسان يستطيع أن يعلم الشخص ما هو صواب ، وبسهولة .

(صمت)

بينوف : أنا مثلاً . . . لا أجيد الكذب . لماذا أكذب ؟ رأى الا يتردد الانسان في قول الصدق . فماذا نخشى ؟
كليش : (يقفز مرة أخرى كاللسوع ويصرخ) الصدق ؟ أى صدق ؟ (يمزق الخرق التى يلبسها) هذا هو الصدق . لا عمل . لا قوة . هذا هو الصدق . لا ماوى . ولا سقف أملكه . لا شيء الا أن أموت كالكلب . هذا هو الصدق الذى تتحدث عنه ، أيها الشيطان العجوز . ما حاجتى أنا الى صدقك هذا ؟ كل ما أريده هو أن تتاح لى فرصة التنفس . . . أن أتنفس حياً . ماذا ارتكبت من خطأ ؟ ما حاجتى أنا الى صدقك

هذا ؟ أريد أن تتاح لى الفرصة لأعيش ! دنيا . نعيمة ! انهم لا يتركونك تعيش ، وهذا هو الصدق .

بينوف : هذا الفتى متأثر جداً !

لوكا : يا رب ! ولكن أسمع يا صديقى . أنت . . .

كليش : (يرتعد انفعالا) كلكم تتشددون بالحديث عن الصدق . أنت يا عجوز ، تحاول أن تعزى كل واحد . اذن فاسمع ، أنا أكره كل واحد ، وهذا هو الصدق ، عليه اللعنة الى الأبد ! هل تفهم ؟ لقد حان الوقت لأن تفهم ! فليذهب صدقك الى جهنم (يجرى حول ركن المنزل وهو ينظر وراءه ويصرخ) .

لوكا : يارب ، يارب ، يارب ، ! هذا الفتى ساخط أشد السخط ! الى أين خرج ؟

ناتاشا : خرج عن وعيه .

بينوف : حاجة مسلية جداً . كالتمثيل تماماً . هذا لا يحدث كثيراً . لم يتعود على الحياة بعد .

بيبل : (يدخل على مهل آتياً من المنزل) سعيدة ، يا اخوان . آه ، لوكا ، أيها الثعلب العجوز الماكر ،

لوكا : أما زلت تروى حواديتك وخزعبلاتك ؟

لوكا : كان يجب أن تسمع ما انفجر به هذا الرجل منذ لحظة .

كل منهم الآخر ، ويساعده ويعاونه في كل صغيرة وكبيرة . لابد أن يكون كل شيء في هذه المدينة رائعا . وهكذا فكر في البحث عن هذه المدينة . كان رجلا فقيراً ، وكانت حياته بائسة شاقة . وكانت أحواله تبلغ من السوء حداً يبدو له معه أن لم يبق إلا أن يرقد ويموت . ولكنه لم ييأس . كان يبتسم لنفسه ويقول « لا بأس . أستطيع أن أتحمل هذا . سأنتظر فترة قصيرة أخرى وبعدها أترك هذه العيشة وأذهب الى المدينة الفاضلة » . كانت تلك هي مسرته الوحيدة في الحياة ... ايمانه بوجود المدينة الفاضلة .

: وهل ذهب اليها؟

: أين؟ ههه!

: الى أن جاء يوم هبط فيه على القرية التي كان يعيش فيها في سيبريا عالم واسع العلم والاطلاع كان منفيًا الى سيبريا . جاء ومعه كتبه وخرائطه وكل ما يحمله رجل كهذا . فقال صاحبنا الفقير للعالم « أرجوك أن تخبرني أين تقع المدينة الفاضلة وكيف أصل اليها » . فأخرج العالم كتبه وخرائطه وبحث ونقب ، ولكنه لم يستطع أن يهتدى الى المدينة الفاضلة في أي مكان . كان كل شيء في موضعه ، كل البلاد على الخرائط إلا أن المدينة الفاضلة لم يكن لها وجود .

: من؟ كليش؟ ماذا حدث له؟ لقد رأيتَه يجري كما لو كان الشيطان يجري وراءه .

: أي واحد لابد أن يجري إذا انكسر قلبه هكذا .

: (يجلس) أنا لا أحب هذا الشاب . متكبر جداً وشرير (يقلد كليش) « أنا ... أنا صنايعي » .

كما لو كان ذلك يجعله أحسن من غيره . أنت حر في أن تشتغل كما تشاء ، ولكن لماذا تكون فخوراً بنفسك هكذا؟ لو كانت قيمة الشخص تتوقف على مقدار العمل الذي يعمله ، لكان الحصان أفضل من أي إنسان ، فهو يشقى يوماً بعد يوم دون أن يقول كلمة . ناتاشا ، هل أهلك هنا؟

: ذهبوا الى المقابر . وبعد ذلك سيذهبون الى قداس المساء .

: ولذلك ليس لديك ما يشغلك الآن .

: (يخاطب بينوف مفكراً) تقول الصدق؟ الصدق لا يشفى آلام الإنسان في كل الأحوال . لا تستطيع دائماً أن تعاون الروح بالصدق . أذكر مثلاً شخصاً كنت أعرفه كان يؤمن بالمدينة الفاضلة .

: بماذا؟

: بالمدينة الفاضلة . كان يقول « لابد أن تكون في هذا العالم مدينة فاضلة . مدينة يعيش فيها ناس من نوع خاص . ناس فاضلون . يحترم

بيبل

لوكا

بيبل

ناتاشا

بيبل

لوكا

بينوف

لوكا

بينوف : (متجهماً) حدوتة أخرى !
 پيل : هيه ! اذن لا وجود للمدينة الفاضلة !
 ناتاشا : مسكين هذا الرجل !
 بينوف : حكاية ملفقة . فهو ! مدينة فاضلة ! زينها له
 خياله . فهو ! (ينسحب من النافذة)
 لوكا : (يومئ في اتجاه نافذة بينوف) يضحك ! هـى
 هـى هـى ! (سكون) يا أصدقائي ، أتمنى لكم كل
 خير . سأرحل بعد قليل .
 پيل : الى أين تذهب ؟
 لوكا : الى أوكرانيا . سمعت عن تكوين جماعة دينية
 جديدة هناك وأريد أن أرى أحوالها . فالتناس
 دائماً في سعى ، دائماً يطلبون شيئاً أحسن . كان
 الله في عونهم .
 پيل : هل تظن أنهم سيجدون ما يبحثون عنه ؟
 لوكا : بالتأكيد . من جدّ وجد . كل من اشتدت به
 الحاجة الى شيء لا بد أن يحصل عليه .
 ناتاشا : آه لو يفعلوا ! آه لو يفكروا في طريقة أحسن
 للمعيشة !
 لوكا : سيفعلون . ولكن علينا أن نساعدهم يا عزيزتي
 علينا أن نحترمهم لسعيهم .
 ناتاشا : وكيف أساعدتهم اذا كنت أنا نفسي في حاجة الى
 المساعدة ؟
 پيل : (في تصميم) سأقولها لك مرة أخرى يا ناتاشا .

پيل : (في صوت هامس) لم يكن لها وجود !
 (يضحك بينوف)
 ناتاشا : لا تضحك . استمر يا جدي .
 لوكا : لم يصدق الرجل . فقال للعالم « لا بد أن تكون
 في مكان ما . انظر جيداً . لأنه اذا لم يكن للمدينة
 الفاضلة وجود ، اذن فكل كتبك وخرائطك
 لا قيمة لها » . ويستاء العالم فيقول لصاحبنا
 « خرائطى هي أحسن الخرائط ، ولكن لا وجود
 لمكان كهذا » . ويثور صاحبنا المسكين متسائلاً
 « ماذا تقول ؟ لقد صبرت على هذه الحياة
 وتحملت كل هذه السنين لا لشيء الا لاننى كنت
 واثقاً من وجود مكان كهذا . واليوم تقول لى
 خرائطك انه مكان لا وجود له . هذا غش ! انت
 شقى بئس ! أنت وغد ولست رجلاً من رجال
 العلم » . ويتحمس صاحبنا المسكين فيناول
 العالم لكمة على اذنه . . . طاخ ! ووراءها لكمة
 أخرى . . . طاخ ! (لحظة سكون) وبعد ذلك
 يذهب الى بيته ثم يشنق نفسه .
 (الكل صامتون . يتنسم لوكا
 وينظر الى پيل وناتاشا)
 پيل : (وهو يلهث) أنت نحس ! حكايتك شوم !
 ناتاشا : عز عليه أن يكون مخدوعاً !

سأطلب منك مرة أخرى . هنا ، أمام هذا الرجل
الذي يعرف كل شيء . تعالى معي .

: الى أين نذهب ؟ الى السجن ؟

: قلت لك اننى سأكف عن السرقة . أقسم بالله
اننى سأكف عن السرقة . انا اذا قلت فعلت .

انا أجيد القراءة والكتابة . سأشتغل . هذا الرجل
يقول اننا نستطيع الذهاب الى سيبيريا باختيارنا .

فهل نذهب ؟ هل تظنين اننى لا اكره هذه الحياة ؟
أوه ، ناتاشا . انا فاهم . . . انا فاهم كل شيء .

انا أعزى نفسى وأقول لها ان من يسمون بالأشراف
يسرقون أكثر منى . ولكن ذلك لا يقدم ولا يؤخر .

ليس هذا هو ما أريده . انا لا آسف على شيء .
ولا أومن بالضمير . شيء واحد أومن به . هو

أن هذه ليست معيشة . لا بد للرجل أن يعيش
عيشة تجعله يحترم نفسه .

: هكذا يا بنى ! كان الله في عونك . هو ما تقول .
لا بد للرجل أن يحترم نفسه !

: منذ صغرى وأنا احترف اللصوصية . لم أسمع
أحداً ينادينى الا بقوله « فاسيا اللص . فاسيا بن

اللص » . فهذا اذن هو رأيك فى ؟ هه ؟ اذن فهذا
ما سأكونه . لص ! هه ؟ لعلنى لم أصبح لصاً الا

لمجرد الحقد . لعلنى لم أصبح لصاً الا لانه لم
يخطر ببال احد ان ينادينى باسم آخر . اما أنت

... أنت يا ناتاشا ؟ لو أنك ...

ناتاشا .

بيبل

لوكا

بيبل

: (حزينه) انا لا اصدق كل ما يقوله الناس . وانا

فلقة جداً فى هذه الايام . احس بقلبي يفوس كما
لو كان سيحدث شيء . ما كان يجب أن تشير هذا

الموضوع اليوم يا فاسيا .

: متى اذن ؟ ليست هذه اول مرة أفتح فيها هذا
الموضوع .

: ولماذا اذهب معك ؟ فيما يتعلق بالحب . . .
لا أستطيع ان اقول اننى احبك كثيراً . أنت تروق

لى فى بعض الأحيان . وفى أحيان أخرى لا اطيع
رؤيتك . لا أظن اننى احبك . فأنت عندما تحب

شخصاً يعميك الحب عن رؤية مساوئه . ولكننى
أرى مساوئك .

: لا تخشى شيئاً . سأعلمك ان تحببى . ما عليك
الا أن تقولى نعم . انا أراقبك منذ أكثر من عام .

وقد رأيت أنك فتاة جادة مستقيمة . فتاة يمكن
الاعتماد عليها . انا وقعت فى غرامك يا ناتاشا .

(تظهر فاسيليسا فى النافذة بكامل زينتها .

تقف مصغية وهى مختبئة وراء اطار النافذة)

: أنت وقعت فى غرامى . . . وماذا عن أختى ؟
: (مرتبكاً) وماذا عنها ؟ يوجد مثلها كثيرات .

: لا تفكرى فى هذا يا عزيزتى . اذا لم يوجد خبز ،
أكلنا الحشائش .

: (مكتئباً) ارحمى حالى . هذه ليست معيشة .
بيبل

انها معيشة كلاب ، ولا لذة فيها . كأن الواحد يعيش في مستنقع ، فكل ما تشبث به يدها يتبدد لأنه عفن . اختك هذه ... كنت أظنها على خلاف هذا . لو لم تكن جشعة الى المال بهذا الشكل ، لكنت فعلت أى شيء من أجلها . لو كان حبها لى خالصاً ! ولكنها تريد شيئاً آخر ... المال . كما تريد أن تكون حرة ... حرة لتعيش على هواها . لم تكن اختك عوناً لى . اما أنت ... أنت كشجرة الشربين الفتية ، تنثنى ولكن لا تنكسر .

لوكا : اقبلى نصيحتى وتزوجيه يا ابنتى . فهو شاب لا بأس به . ما عليك الا أن تذكريه دائماً بأنه شاب طيب ... لاتدعيه ينسى هذا . سيصدقك .

قولى له وأعيدي دائماً «أنت رجل طيب يا قاسيا ، فلا تنس هذا» . فكرى يا عزيزتى : هل أمامك مخرج آخر من هذه الحياة ؟ اختك هذه قاسية خبيثة . اما زوجها ... فهو عجوز لا تكفى الكلمات لوصف شره . وهذا شأن الحياة هنا . فما هو المخرج الآخر ؟ ثم هو شاب قوى .

ناتاشا : لا مخرج آخر لى . أعلم هذا . فكرت فى ذلك . الا أننى ... لا اصدق أحداً . ومع ذلك ، لا مخرج آخر .

بيب : بل يوجد مخرج آخر . ولكننى لن أدعك تسلكين هذا السبيل . سأقتلك أولاً .

ناتاشا : (مبتسمة) لم أصبح زوجتك بعد ، ومع ذلك فأنت على استعداد لقتلى .

بيب : (ياخذها بين ذراعيه) انسى هذا يا ناتاشا . هذا ما يجب أن تكون عليه حالنا .

ناتاشا : (تملص منه) هناك شيء لا بد أن أقوله لك يا قاسيا ، شيء أقسم عليه أمام الله . أول مرة ترفع فيها يدك على ، أو تسيء الى أى شكل آخر ، لن أبقى على نفسى . اما أن أقتل نفسى واما ...

بيب : فلتقطع يدي وتنفصل عن جسدى اذا أنا رفعتها عليك .

لوكا : لا تقلقى يا عزيزتى ، فهو فى حاجة اليك أكثر من حاجتك اليه .

قاسيليسا : (من النافذة) وهكذا تمت الخطوبة ! من الآن فصاعداً حب واحترام وطاعة !

ناتاشا : لقد عادا ! يا ربى ! لقد رأينا . آه ، قاسيا !

بيب : مم تخافين ؟ لن يجرؤ أحد على أن يمد يده اليك الآن .

قاسيليسا : لا تقلقى يا ناتاشا ، فلن يكون ضربه أكثر من حبه . أنا عارفة .

لوكا : (لاهتاً) هذه المرأة ! حية رقطاع !

قاسيليسا : هو يجيد الكلام المعسول .

كوستليوف : (يدخل) ناتاشا ! ماذا تفعلين هنا يا بليدة ؟ تلوكين سيرة الناس ؟ وتشكين أقاربك ؟ ولم تعدى الساموقار حتى الآن ؟ لم تعدى المائدة ؟

ناتاشا : (تخرج) ولكنكم كنتم تنوون الذهاب الى الكنيسة .

كوستليوف : لا شأن لك بما كنا ننوي عمله . افعلى ما نطلبه منك . ما تأمرك به .

پيل : امسك لسانك . لم تعد خادمة لك بعد الآن . ناتاشا ، لا تذهبي . لا تفعلى لهم شيئاً .

ناتاشا : لا تقل لى ماذا افعل . لم يحن وقتك بعد (تخرج)

پيل : (الى كوستليوف) دعها فى حالها . لقد ظلت تحت ارادتك بما فيه الكفاية . هى الآن لى .

كوستليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ كم دفعت ؟

(فاسيليسا تضحك)

لوكا : اذهب من هنا يا فاسيا .

پيل : احترسى والا وجدت نفسك تضحكين على الجانب الآخر لوجهك .

فاسيليسا : حاجة مخيفة ! انا خايفة موت !

لوكا : اذهب يا فاسيا . الا ترى انها تستفزك لكى تثير غضبك ؟

پيل : آه . . . نعم . انها تكذب . انت تكذبين ! لن تسير الامور حسبما تشائين .

فاسيليسا : ولن تسير حسبما لا اشاء يا فاسيا !

پيل : (يهز قبضته فى وجهها) سنرى ! (يخرج)

فاسيليسا : (تختفى من النافذة) ساهيىء لك زفافاً مناسباً . كوستليوف : (يتجه الى لوكا) ماذا تفعل هنا ايها العجوز ؟

لوكا : لا شىء ايها العجوز .

كوستليوف : يقولون انك ستتركنا ؟

لوكا : آن الاوان .

كوستليوف : الى اين تذهب ؟

لوكا : وراء انفى .

كوستليوف : هكذا حال المتشردين ! انت لا تطيق البقاء طويلاً فى مكان واحد ، هه ؟

لوكا : الحركة بركة ، كما يقول المثل .

كوستليوف : ولكن لا بد للرجل ان يستقر فى مكان واحد ، لا ان يعيش كالسمك فيتنقل هنا وهناك وفى كل مكان .

لا بد للرجل ان يتخذ له بيتاً فى مكان ما ، لا ان يكون غريباً فى كل مكان .

لوكا : واذا شعر الرجل بأنه فى بيته فى كل مكان ؟

كوستليوف : معنى هذا انه متشرد وانه مخلوق لا فائدة منه . لا بد ان يكون الشخص ذا نفع ما . لا بد له ان يشتغل .

لوكا : صحيح ؟ لم افكر فى هذا .

كوستليوف : نعم . لا بد له . من هو الغريب ؟ الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبه الآخرين . فاذا

كان حاجاً ذا علم . . . اى اذا كان قد تعلم اشياء . . . اشياء لا يهتم احد بمعرفتها . . .

حتى ولو كانت هذه الاشياء هى الصدق والحق ، فالناس لا يريدون الصدق والحق فى كل الأحوال

.... فليبق لنفسه ما تعلم ! أما إذا كان حاجاً حقاً ، أمسك لسانه . فإذا تكلم لم يفهم أحد ما يتكلم عنه . كما يجب عليه ألا يطلب تغيير الأوضاع . أو يتدخل في أى شيء ، أو يضايق الناس لغير ما سبب وجيه . لا شأن له بحياة الناس وكيف يحيونها . عليه أن يعيش عيشة الزهد والتقوى . عليه أن يعيش في كهف في الغابة حيث لا يراه أحد . لا حق له في أن يتدخل في شؤون الناس ، محاولاً أن يبين لهم ما هو الصواب وما هو الخطأ . ولكن يجب عليه أن يدعو الله لكل واحد ليفقر لنا كل خطايانا الدنيوية ... خطاياك وخطاياى وخطايا كل شخص آخر . لذلك يتخلى الحاج عن مباحج هذه الدنيا ... ليتفرغ للصلاة والعبادة (صمت) أما أنت ... أى نوع من الحجاج أنت ؟ ليس معك جواز مرور . كل الكائنات البشرية المحترمة معها جوازات مرور ...

لوكا : بعضنا بشر ، وبعضنا مجرد كائنات .

كوستليوف : لا داعى لهذه الشطارة الآن . لا داعى لهذه الألفاظ . فأنا لا أقل عنك ذكاءً . ماذا قلت ... بشر وكائنات ؟

لوكا : لا لغز هنا . كنت أقول ان البشر كالارض فيها الخصبة وفيها القاحلة . ومهما يكن نوع البذور التى تبذرهما فى الأرض الخصبة ، فلا بد ان تثمر .

كوستليوف : وما معنى هذا ؟
لوكا : أنظر الى نفسك مثلاً . لو أن الخالق نفسه قال لك « يا ميخائيل ، كن بشراً » لما كان لقوله أى اثر على الاطلاق . ستظل أنت كما أنت .

كوستليوف : اسمع . ان خال زوجتى من رجال الشرطة . اذا أنا

فاسيليسا : (تدخل) الشاى جاهز يا ميخائيل اقاوقتش .
كوستليوف : (الى لوكا) أخرج من هنا . لا تدعنى أراك فى بيتى مرة أخرى .

فاسيليسا : خير لك أن ترحل أيها العجوز . لسانك طويل . من يدري أنك لست مجرماً هارباً .

كوستليوف : ارحل من هنا اليوم ، والا ...
لوكا : استدعيت خال زوجتك ؟ هيا ، استدعه . أخبره أنك قبضت على مجرم هارب . لعل الخال ينال جائزة ثلاثة كوپك مثلاً ؟

بينوف : (عند النافذة) هل تبيع شيئاً ؟ ما هذا الذى تبيعه بثلاثة كوپك ؟

لوكا : يهددون ببيعى .

فاسيليسا : (لزوجها) هيا بنا .

بينوف : بثلاثة كوپك ؟ خذ بالك يا عجوز ! سيبيعونك بنصف كوپك .

كوستليوف : (الى بينوف) اذن فقد زحفت من تحت الفرن وخرجت لنا كالغول ؟ (يخرج مع زوجته)

العراك ... فهما سيتغلبان على دون شك ...
ولذا قررت أن أقتل زوجتى قبل أن تقتلنى .
رسمت الخطة وأعددت العدة ... ولكننى تمالكت
نفسى فى الوقت المناسب ورحلت .

لوكا : خير ما فعلت .
بينوف : ولكن المحل كان ملكاً لزوجتى ، وهانذا الآن كما
ترانى . ولكن أقول لك الحق ، كنت سأشرب
بالمحل كله . فالشرب هو الذى يجعلنى

لوكا : الشرب ، اه ؟
بينوف : أنا سكير بشع . اذا بدأت الشرب ، شربت كل
شئ الا جلدى . وأنا بليد . ليست لديك فكرة
عن مقدار كرهى للعمل .

(يدخل ساتين والممثل يتجادلان)

ساتين : كلام فارغ ! لن تذهب . أنت تعرف أنك لن تذهب .
انت تخدع نفسك . أيها العجوز ، ما هذا الهديان
الذى كنت تصبه فى أذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب . يا جدى ، قل له انه يكذب .
سأذهب . لقد اشتغلت اليوم ... كنست
الشارع . ولم أشرب كأساً واحدة . تصور .
انظر ... هذه هى الثلاثون كويك ، وأنا فى وعيى .

ساتين : غبى ! هات النقود . سأشرب بها أنا ، أو أخسرها
فى القمار .

قاسيليسا : كم فى العالم من لصوص واوغاد !
لوكا : أرجو لكما شيئاً هنيئاً !
قاسيليسا : (تستدير اليه) امسك لسانك أيها العجوز القبيح !
(تختفى مع زوجها عند ناصية الباب)

لوكا : سأرحل الليلة .
بينوف : هذا حسن . فمن الخير دائماً أن ترحل فى الوقت
المناسب .

لوكا : هذا من خير ما قيل .
بينوف : أنا أعرف ما أقول . لعلى تفاديت دخول السجن
برحيلى فى الوقت المناسب .

لوكا : صحيح ؟
بينوف : نعم ، صحيح . واليك القصة : أحببت زوجتى

تاجر فراء . كان تاجراً بارعاً . وكان تعلق كل
منهما بالآخر شديداً بحيث كان لزاماً على أن
أكون مفتوح العينين حتى لا يدهس لى السم ، أو
يتخلصا منى بطريقة أخرى . كنت أضرب زوجتى
فى بعض الأحيان فكان تاجر الفراء يضربنى . كان
مقاتلاً شرساً . نتف نصف لحتى ذات مرة .
وكسر لى ضلعاً مرة أخرى . ولكننى كنت أفقد
اتزانى . الى أن كان يوم ضربت فيه زوجتى على
رأسها بقضيب من الحديد ، ونشب بيننا قتال
عنيف . الا أئنى تبينت الا جدوى من مواصلة

الممثل : حاسب ! هذا جزء من ثمن تذكرة السفر .
لوكل : (الى ساتين) لماذا تريده أن ينحرف عن الطريق المستقيم ؟
ساتين : « خبرني أيها الساحر ، يا صفي الآلهة ، ما هو المصير الذي يخبئه لي القدر ؟ » . أنا افلست تماماً أيها الأخ . فقدت كل ما أملك . ولكن ما زال أمام العالم أمل يا جدى . توجد أسماك قرش أشطر منى .
لوكا : أنت شاب مرح يا كونستانتين ، وحلو المعشر .
بينوف : يا ممثل ، تعال هنا .
(يتجه الممثل الى النافذة وينحن على بينوف يتحدث في صوت منخفض)
ساتين : كنت مسلياً في صغرى . جميل أن استعيد ذكريات تلك الأيام . كنت شاباً فاجراً . كنت بارعاً في الرقص . وكنت أمثل على المسرح . كنت دائماً أجعل الناس تضحك . كنت شاباً ظريفاً .
لوكا : وكيف تبدلت حالك ، هه ؟
ساتين : أنت مخلوق فضولى يا عجوز . تحب أن تعرف كل شيء . لماذا ؟
لوكا : أحب أن أفهم الطبيعة الانسانية . ولكن عندما أنظر اليك ، لا أفهم شيئاً . أنت رجل طيب يا كونستانتين ، وشاطر . ومع ذلك ...
ساتين : السجن هو الذى فعل بى ذلك يا جدى . قضيت فيه أربع سنين وسبعة أشهر . وبعد السجن لا يقبلك أحد .
لوكا : ولماذا دخلت السجن ؟
ساتين : قتلت وغداً . قتلته فى ساعة غضب وسخط . وفى السجن تعلمت لعب القمار ... وأشيناء أخرى .
لوكا : هل قتلته بسبب امرأة ؟
ساتين : بسبب أختى . ولكن لا تتدخل فيما لا يعينك . فانا لا أحب أن يسألنى أحد أسئلة كهذه . وهذا كله حدث منذ زمن بعيد . لقد ماتت أختى . منذ تسع سنوات . كانت جميلة .
لوكا : أنت تتقبل الحياه قبولاً حسناً . كان يجب أن تسمع صانع الأقفال وهو يئن منذ لحظة ويصيح بأعلى صوته : آ... ي !
ساتين : كليش ؟
لوكا : نعم . كان يصيح : لا عمل ، ولا شيء بالمره .
ساتين : سيعتود على ذلك بمرور الوقت . ماذا أفعل بنفسى الآن ؟
لوكا : أنظر . هذا هو .
(يدخل كليش وقد تدلت رأسه بين كتفيه)
ساتين : ايه يا أرمل ! لماذا تمشى وأنفك بين ركبتيك ؟ فيم تفكر ؟

فاسيليسا : دعها ! انتظر ! سأريها ! خذي هذه ! وهذه !
 ناتاشا : انهم يقتلونني ! يقتلونني !
 ساتين : (يصرخ عند النافذة) انتم ، هناك !
 لوكا : (مندفعاً هنا وهناك) فاسيا ! نريد فاسيا هنا
 الآن . يا ربى ! ايها الناس الطيبون ! ايها الأخوة !
 الممثل : (يعلو) سأذهب لآتى به .
 بينوف : هم لا يكفون عن ضربها .
 ساتين : تعال ايها العجوز . سنكون شاهدين .
 لوكا : (يتبع ساتين) انا شاهد لا خير في . لم أخلق لمثل
 هذا . نريد فاسيا ، ونريده بسرعة .
 ناتاشا : يا اختى ! يا اختى ! آه ... آه ... هـ !
 بينوف : لقد كموا فمها . سأذهب لأرى .
 (تموت الضجة في مسكن كوستليوف
 اذ ينتقل الناس الى الردهة . يسمع
 صوت العجوز وهو يصيح « كفى ») .
 باب يصفق فيكون لصفقه وقع ضربة
 الفاس ، فتقطع الضجة . الصمت
 يسود المسرح . غسق الربيع . كليش
 جالس على مركبة الجليد المقلوبة ، في
 حالة شرود وهو يفرك يديه في توتر .
 يتمم بكلمات غير مفهومة تتبلور اخيراً
 في قوله : « ولكن كيف ؟ لابد للانسان

كليش : افكر فيما سأفعله . لم تعد عندي آلات . بعثها
 كلها لدفع نفقات الجنازة .
 ساتين : اقبل نصيحتى ولا تفعل شيئاً . كن عبئاً على
 العالم .
 كليش : هذا يناسبك أنت ، أما انا فأشعر بالعار .
 ساتين : تخلص من هذا الشعور . فالناس لا يشعرون
 بالعار عندما يرونك تعيش عيشة الكلاب . فكر .
 أنت تكف عن العمل ، وانا أكف عن العمل ، مئات
 وآلاف آخرون يكفون عن العمل ، كل واحد يكف
 عن العمل . هه ؟ كلنا نكف عن العمل . لن يرفع
 أحد اصبعه ليفعل شيئاً . فماذا يحدث عندئذ ؟
 كليش : نموت جميعاً من الجوع .
 لوكا : (الى ساتين) يجب ان تنضم الى طائفة النسك
 ما دامت لك افكار كهذه .
 ساتين : وهؤلاء ليسوا أغبياء يا جدى كما قد يظن الناس .
 (من نافذة مسكن كوستليوف يسمع
 صوت ناتاشا تصيح : « كفى . كفى .
 ماذا فعلت ؟ »)
 لوكا : (فى قلق) ناتاشا ؟ هل هى التى تصرخ هكذا ؟
 (من مسكن كوستليوف يسمع صوت
 اطباق تتحطم ، واصوات تدمر ،
 وصوت كوستليوف وهو يصرخ :
 « يا كلبة ! يا عاهر ! »)

التتري : وانت ، ما هو واجبك ؟
 ميدفيدف : (يجرى وراء التتري) قف . أعطني صفارتي .
 كوستليوف : (داخلا يعدو) أبرام اقبض عليه ! لقد قتل
 (من وراء الناصية تدخل كفاشنيا
 وناستيا تسندان بينهما ناتاشا وقد
 تشعث شعرها . يمشى ساتين بظهره
 وهو يدفع فاسيليسا التي تحاول
 الامساك باختها . اليوشكا ينط حولها
 كالعفريت ، وهو يصفر في أذنها ،
 ويصيح ، ويزمجر . تدخل في اثرهم
 مجموعة صغيرة من الفوغاء)

ساتين : (الى فاسيليسا) ماذا تفعلين يا قدرة ؟
 فاسيليسا : ارحل يا ربيب السجون ! سامز قها اربا ولو كلفني
 ذلك حياتي !
 كفاشنيا : (تاخذ ناتاشا بعيداً) كفى يا فاسيليسا ! إلا
 تشعرين بالعار ؟ أنت تتصرفين كالوحش .
 ميدفيدف : (يقبض على ساتين) قبضت عليك أخيراً .
 ساتين : اهرب يا زوب . فاسيا ! فاسيا !
 (يتجمعون بالقرب من الممر بين سور
 الطوب والبيت . بينما تكون ناتاشا
 قد اقتيدت لتجلس فوق كومة
 الأخشاب الى اليمين)

ان يعيش ، اليس كذلك ؟) ثم
 يقول في صوت عال : (سقف ! أريد
 سقفاً فوق رأسي . لا سقف لي .
 لا شيء عندي بالمرّة ! أنا رجل وحيد
 ... وحيد تماماً . هذا هو سر
 المتاعب . لا أحد يعاونني) يخرج
 على مهل . محدودب الظهر . يرين
 على المسرح سكون مخيف لبضع
 ثوان . ثم يسمع صوت تذرغامض
 آت من خارج المسرح ، يعلو ليصبح
 صوتاً مربعاً كلما اقترب . تسمع

أصوات متميزة)
 فاسيليسا : أنا اختها ! اتركها لي !
 كوستليوف : لا حق لك .
 فاسيليسا : يا ربيب السجون !
 ساتين : أدع فاسيا . أسرع . اضربه يا زوب !
 (تسمع صفارة الشرطة)
 التتري : (يعدو داخلا ، ذراعه اليمنى في ضمادة) أي
 قانون هذا ... جريمة قتل في وضح النهار ؟
 زوب : (يدخل ووراءه ميدفيدف) هاه ! ضربته ضربة
 قوية .
 ميدفيدف : أنت ... كيف تجرؤ على مقاتلة الناس ؟

پیل : (يدخل فجأة من المر ، وفي سكون ينحنى كل شخص جانباً في حركات قوية عنيفة) أين ناتاشا؟ أنت ...
كوستليوف : (يختفي خلف البيت) أبرام ، امسك فاسيا . يا اخواني ، ساعدوه ليقبض على فاسيا . لص ! حرامي !

پیل : أيها الفاسق العجوز !

(بحركة قوية من ذراعه يضرب پیل العجوز كوستليوف فيسقط بحيث لا ترى الا راسه وكتفاه من خلفناصية البيت . يندفع پیل نحو ناتاشا)

فاسيليسا : اضربوا فاسيا يا جماعة ! اضربوا اللص !

ميدفيدف : (يصيح في وجه ساتين) ابعد عن هذا . هذه

مسألة عائلية . كلهم اقارب . لا محل لك هنا .

پیل : ما هذا ؟ ماذا فعلت ؟ هل ضربتك بخنجر ؟

كفاشنيا : انظر ما فعل هؤلاء الوحوش ! حرقوا رجليها

بماء مغلى .

ناستيا : قلبوا الساموقار عليها .

التتري : لعل تلك كانت حادثة غير مقصودة . لا بد ان

نتأكد . يجب الا نخطيء الحكم .

ناتاشا : (تكاد يغمى عليها) فاسيا . خذنى بعيداً .

خبئنى .

فاسيليسا : يا الهى ! انظروا ! مات ! قتل !

(يسرع الجميع الى المر حيث يرقد

كوستليوف . ينفصل بينوف عن

الجمع وينهب الى فاسيا پيل)

بينوف : (في صوت منخفض) فاسيا ! الرجل العجوز ...

انتهى !

پیل : (ينظر اليه وهو لا يفهم) ادع الاسعاف ! لا بد ان

نأخذها الى المستشفى . سأسوى حسابي معهم .

بينوف : اقول لك ان شخصاً ما قتل الرجل العجوز .

(تهدأ الضجة فوق المسرح كئنا ينصب

فوقها فيضان من الماء . تسمع

ملاحظات متفرقة في اصوات مكتومة .

« صحيح ؟ » . « هذا مخزن » .

« لنبتعد عن هنا » . « حاسب »

« لنهرب قبل ان تاتي الشرطة » .

يتصاعل عددهم . يندفع بينوف

والتتري وناستيا وكفاشنيا الى جثمان

كوستليوف)

فاسيليسا : (تنهض من على الأرض وتصيح في انتصار) لقد

قتل ! هذا هو الرجل الذي قتل زوجي . فاسيا !

لقد رأيت ذلك بنفسى . رأيت يا جماعة ! فاسيا !

سيأتى الشرطة في طلبك . هه ؟

پیل

(یترك جانب ناتاشا) دعوتی أمر . ابعثوا عن
طريقي (يلقي نظرة على الرجل العجوز ثم يلتفت
الى فاسيليسا) مات ! السافل ! اذن فقد تحقق
لك ما اردت ! ممم ! فلاقتك انت أيضاً ! (يلقي
بنفسه عليها . ولكن ساتين وزوب يسارعان
باعتراض طريقه . تجرى فاسيليسا الى المر) .

ساتين

: فكر فيما تفعل !

زوب

: على مهلك !

فاسيليسا

: (تظهر ثانية) لا مفر لك من مصيرك يا صديقي
فاسيا ! الشرطة ! ابرام ، انفخ في صفارتك .

ميدفيدف

: هؤلاء الشياطين ، خطفوا صفارتي .

اليوشكا

: هذه هي (ينفخ في الصفارة فيجري نحوه
ميدفيدف) .

ساتين

: (يقود پيل الى ناتاشا) لا تشغل بالك كثيراً
يا فاسيا . أنت قتلت في معركة . هذا لا شيء .
لن يكلفك غالياً .

فاسيليسا

: امسكوا فاسيا . هو الذي قتله . انا رأيت يقاتله .

ساتين

: انا نفسي ضربته ثلاث أو أربع مرات . لم يكن
موتاً . القضاء عليه يحتاج الى مجهود كبير .
الرجل شاهدأ يا فاسيا .

پيل

: لا أريد أن أتملص من الجريمة . أريد أن أجر
فاسيليسا فيها . وسأجره ، معون الله . هذا

هو ما كانت تريده . لقد أغرتني على أن أقتل

زوجها . أغرتني بذلك .

ناتاشا

: (فجأة بصوت عال) آه ! ... فهمت الآن . هذا

هو السر اذن يا فاسيا . ما اطيعكما ! لقد فعلتما

ذلك معاً ! دبرتما الأمر معاً . لذلك كنت تتحدث

معى الليلة ؟ لكي تسمع هي ؟ ما اطيعكما ! هي

عشيقتك . كلهم يعرفون ذلك . هي ... هي

أغرتني بقتل زوجها . كان يقف في طريقهما . وأنا

كنت أقف في طريقهما . ولذلك جعلوني كسيحة .

: ناتاشا ! ما هذا الذي تقولين ؟

پيل

: مسكين !

ساتين

: مسكين !

فاسيليسا

: كذابة ! انها تكذب ! ... هو القاتل ! فاسيا هو

الذي قتله .

ناتاشا

: قتلاه معاً ! عليكم اللعنة ! أنتما معاً !

ساتين

: هذه مكيدة . احذر يا فاسيا . سيضعان الحبل

حول عنقك قبل أن تدري .

زوب

: لا أستطيع أن أفهم شيئاً .

پيل

: ناتاشا ! هل أنت حقاً ... ؟ هل أنت جادة ؟

كيف يمكن أن تظني أنني ... أنا ... معها ...

ساتين

: فكرى فيما تقولين يا ناتاشا .

فاسيليسا

: (عند المر) قتلوا زوجي يا سيدى . فاسيا پيل ،

اللس ، هو الذي قتله . انا رأيت ياسيادة المفتش .

كلهم رأوه .

ناتاشا

: (تترنج في المكان في شبه غيبوية) أختي وقاسيا
يبل هما اللذان قتلاه . استمع . استمع الى
يا سيادة المفتش . أختي . . . هي التي رسمت
له الخطة . هي التي أغرته بذلك . هو عشيقها .
هذا هو ، ملعون النفس . قتلاه . خذهما معاً .
خذهما الى السجن . وخذني أيضاً . ضعني في
السجن . محبة في المسيح ، ضعني في السجن .

ستار

الفصل الرابع

www.liilas.com

(المنظر هو المنظر الأول نفسه ، فيما عدا اختفاء
الحاجز النى كان يكون غرفة بيل ، وسندان
كليش . التترى يتقلب ويتوجع فوق مصطبة في
الركن الذى كان من قبل غرفة بيل . يجلس
كليش الى المائدة يصلح آلة أكورديون ، وهو
يجرب المفاتيح من آن لآخر . عند الطرف الآخر
من المائدة يجلس ساتين والبارون وناستيا .
أمامهم زجاجة قودكا وثلاث زجاجات بيرة وبعض
الخبز الأسود . الممثل يروح ويجيء وهو يسعل
فوق الفرن . الوقت ليل . يضىء المسرح مصباح
موضوع في وسط المائدة . الريح تعصف في
الخارج) .

كليش : اختفى وسط الزحام والضجيج !
البارون : تخلص من الشرطة كما يتخلص النار من الدخان !
ساتين : أو الخبيث من الطيب .
ناستيا : كان عجوزاً طيباً . أما أنتم ... أنتم لستم
بشراً . أنتم حثالة !
البارون : (وهو يشرب) في صحتك يا سيدتى الجميلة .
ساتين : كان غريب الشأن . هذه ناستيا ، لقد وقعت في
غرامه .

- كليش : (يحاول عزف الأكورديون) اعزف عليك اللعنة !
ما يقوله التتري صحيح . لابد للناس أن يعيشوا
وفقاً للقانون . وفقاً للإنجيل .
- ساتين : ولماذا لا تفعل أنت ؟
البارون : حاول .
التتري : محمد أبلغنا القرآن وقال : هذه هي الشريعة !
افعلوا ما تأمركم به . ثم جاء وقت ... لم يكن
فيه القرآن كافياً . عصر جديد ... قانون
جديد . كل عصر جديد بقانون جديد .
- ساتين : أنت على حق . اليوم جاء وقت « قانون العقوبات » .
قانون جيد صارم . سأستغرق وقتاً طويلاً في
استهلاك هذا القانون .
- ناستيا : (تضرب المائدة بالزجاجة) لماذا ... لماذا أستمروا
في الحياة هنا معكم جميعاً ؟ سأرحل ... إلى أي
مكان ... إلى أقصى الأرض .
- البارون : حافية القدمين يا سيدتي الجميلة ؟
ناستيا : عارية ! زاحفة على أربع !
البارون : منظر رائع يا سيدتي الجميلة . تصوروا هذا !
على أربع !
- ناستيا : نعم ، سأرحل . سأذهب إلى أي مكان حتى أبتعد
عن وجوهكم . لو عرفتم كم سئمت كل شيء !
كل شخص وكل شيء .

- ناستيا : نعم . وقعت في غرامه . هذا حق . كان يرى كل
شيء ويفهم كل شيء .
- ساتين : (ضاحكاً) كان كالشريد للأهت .
البارون : (ضاحكاً) أو كالشريط اللاصق على الدمامل .
كليش : كان شفوفاً ... أما أنتم ... أنتم لا تعرفون
ما هي الشفقة !
- ساتين : ما هو الخير الذي يعود عليك من شفقتي ؟
كليش : أنا لا أقصدك . فأنت لا تشفق على الناس ولكنك
على الأقل تبقى على مشاعرهم .
- التتري : (يجلس على إحدى المصاطب ويهدد ذراعه
المتورمة كما لو كانت طفلاً) كان عجوزاً طيباً .
كان يعرف شريعة الروح . ومن يعرف شريعة
الروح فهو طيب . أما من لا يعرفها ... فهو
لا يعرف نفسه .
- البارون : أية شريعة يا حسن ؟
التتري : هذه شريعة مختلفة . أنت تعرف ما أعني .
البارون : ثم ماذا ؟
التتري : لا تؤذ الناس . هذه شريعة .
ساتين : هذا اسمه « قانون العقوبات للمجرمين والكفرة » .
البارون : وهناك « لائحة العقوبات التي يفرضها قضاة
محاكم الصلح » .
- التتري : القرآن شريعة . وقرآنكم هو الآخر شريعة .
لابد أن يكون لكل نفس قرآن . نعم !

البارون : لا شيء يا سيدي .
الممثل : نعم ، هذا هو . لا شيء . « هذا الحجر المتشابك
سيكون قبري . هذا الاطار الضائع لا تستطيع
يد أن تنقذه » . وما الذي يجعلكم تواصلون
الحياة ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

البارون : هيه ... أنت ايها الممثل العبقري . كف عن
الصياح .

الممثل : سأصيح كما يحلو لي .

ناستيا : (ترفع رأسها من على المائدة وتطوح يديها)
استمر في الصياح ، حتى يستمعوا اليك .

البارون : وما فائدة ذلك يا سيدتي الجميلة ؟

ساتين : دعهم في حالهم يا بارون . فليذهبوا الى جهنم !
دعهم يصيحون . ستنفلق أدمغتهم . المهم هو ألا
تتدخل في شؤون الناس كما قال العجوز . انه
هو الذي دخل هنا كالخميرة فاختمت هذه
الأفكار في عقول زملائنا في السكن .

كليش : لقد أوهمهم بوجود أماكن رائعة ، ثم تسلل راحلا
دون أن يدلهم على الطريق اليها .

البارون : ذلك العجوز كان مزيفاً .

ناستيا : أنت نفسك مزيف .

البارون : اخرجي يا سيدتي الجميلة !

كليش : أما عن الحق ، فلم يكن العجوز يعرفه . كان يضم

ساتين : خذي الممثل معك عندما ترحلين . فهو يفكر في
القيام برحلة كهذه . لقد اكتشف انه على بعد
نصف ميل من أقصى الأرض يوجد مستشفى لمن
تسمت منسوجات جسمه .

الممثل : (يطل برأسه فوق حافة المصطبة من على الفرن)
أنسجة جسمه يا مففل !

ساتين : لمن تسمم نسيج جسمه بالكحول .

الممثل : سيرحل . اطمئنوا . سيرحل . سترون .

البارون : من هو يا سيدي ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكراً يا خادم ربة ال ... ما اسمها ؟ ربة
الدرامة ، المأساة ، ما اسمها ؟

الممثل : عروس يا ابله . ليست ربة بل عروساً !

ساتين : لاخيسيس ؟ هيرا ؟ افروديت ؟ اتروبوس ؟
الشیطان وحده يعرف اسمها . كل هذا من فعل
ذلك العجوز يا بارون . هو الذي بث القلق والحيرة
في نفس الممثل .

البارون : هذا العجوز مهووس .

الممثل : يا جهلة ! يا همج ! عروس التراجيد يا هي
« ميلپومينيه » ! أوه ، هو راحل ، ما في ذلك
شك . أنتم مخلوقات لا قلب لها . « كلى بعضك
أيتها العقول المفلقة » . هذا من شعر «بيرانچيه» .
سيجد مكاناً لنفسه حيث لا ... لا ...

أشد العداة للحق ، وكان حرياً به أن يكون كذلك .
فأنت اذا فكرت في الأمر ما وجدت ما يدعو الى
الحديث عن الحق . فالحياة شاقة بما فيه الكفاية
بدون الحق . خذ هذا التتري مثلاً . . . لقد كسر
ذراعه في العمل . . . ولا بد الآن من بترها . هذا
هو الحق الذي تتحدثون عنه .

ساتين : **(يضرب المائدة بيده)** اسكتوا ! يا بهائم ! يا اغبياء !
كفاكم حديثاً عن العجوز ! **(بهدهوء)** وأنت يا بارون
أسوأهم . أنت لا تفهم شيئاً . وأنت تكذب . لم
يكن العجوز مزيفاً . ما هو الحق ؟ الانسان !
هذا هو الحق . كان يعرف ذلك ، اما أنت فلا
تعرفه . عقولكم كالطوب . أنا أفهمه . طبعاً كان
يكذب ، ولكنه كان يكذب شفقة بكم يا اخوة
الشیطان . كثير من الناس يكذبون شفقة
باخوانهم . أعرف هذا . لقد قرأت كثيراً من الكتب .
وهي تكذب كذباً رائعاً مصدره الوحي ، فتثير
نفوسكم . ومن الكذب ما يبعث في النفس العزاء ،
ما يجعل الانسان يقنع بنصيبه في الحياة . الكذب
يبحث عن عذر لكسر ذراع العامل . الكذب يلوم
الرجل على موته جوعاً . أنا أعرف كذبكم . ذوو
القلوب الضعيفة أو من يعيشون على حساب
غيرهم هم وحدهم الذين يحتاجون الى الكذب .

بعض الناس يعيشون على الكذب ، وبعضهم
يختفي وراءه . اما الرجل الذي يتولى أمر نفسه
. . . الرجل الذي يعتمد على نفسه والذي لا يمتص
دماء الآخرين . . . ما حاجته الى الكذب ؟ الكذب
دين الأرقاء والرؤساء . أما الصدق فهو اله الرجل
الحر !

البارون : براثو ! احسنت ! اوافق على كل ما قلت . أنت
تتكلم ك . . . كچنتلمان محترم .

ساتين : ولماذا لا يتكلم الفشاش احياناً كچنتلمان محترم
مادام الجنتلمان المحترم يتكلم غالباً كالغشاش .
لقد نسيت الثير ولكنني ما زلت أتذكر بعض
الأمور . ذلك الرجل العجوز كان ذكياً . كان
يعاملني كما لو كان هو حمضاً وانا عملة قديمة
قذرة . فلنشر ب نخب صحته ! املئي كأسى .

تملاً ناستيا كأس ساتين بالبيرة

ثم تناولها له)

ساتين : **(بعد ضحكة قصيرة)** ذلك العجوز يعيش بذكائه .
يرى كل شيء بعينيه النفاذتين . اذكر اننى سألته
يوماً « قل لي يا جدى : لماذا يعيش الناس ؟ »
(يقلد صوت لوكا وحركاته) « يعيشون لكي
يجعلوا الحياة افضل مما هي عليه يا صديقى .
لنفرض مثلاً ان لدينا عدداً من النجارين . . .

العجوز . « يجب أن يحترم كل منا مشاعر الآخر . فليس لنا ان نعترف من يكون هذا الشخص ، ولماذا ولد ، وماذا يستطيع أن يفعل . لعله ولد لما فيه خيرنا ، ليكون عوناً كبيراً لنا . والأطفال بوجه خاص هم الذين يجب أن يظفروا باحترامنا ... الصغار . فهم يريدون الحرية ... الصغار . يجب الا نعترض طريقهم . يجب ان نفهمهم ونحترم مشاعرهم » .

(يضحك ضحكاً رقيقاً)

(صمت)

البارون : (مستغرقاً في التأمل) ممم ! ليجعلوا الحياة افضل ! هذا يذكرني بأسرتي ... أسرة عريقة ... يرجع تاريخها الى عهد الامبراطورة كاترين . نبلاء محاربون . جاءوا من فرنسا . خدموا القيصر وظل نجمهم دائماً في صعود . في عهد القيصر نقولا الأول كان جدي جوستاف ديبييل يشغل منصباً رفيعاً . ثروة ، مئات من العبيد ، جياذ ، خدم ، ...

ناستيا : كذاب ! كل هذا كذب !

البارون : (يفر) ماذا ؟

ناستيا : كل هذا فشر !

البارون : (صائحاً) قصر في موسكو ! قصر في بطرسبرج ! عربات تحمل شعار أسرتنا !

حثة ... كلهم . ثم ولد لهم من بينهم نجار لم تشهد له الأرض أبداً مثيلاً . نوره يحجب انوار الآخرين ، ولا يستطيع أحدهم ان يمسك له حتى بشمعة . هذا النجار لابد ان يترك اثره في كل عمل يقوم به من أعمال النجارة حتى ان مهنة النجارة تتقدم الى الامام عشرين عاماً دفعة واحدة . وكذلك الحال مع جميع أصحاب المهن الأخرى : سمكوية ، واسكافية ، وكل العمال ، وكل الفلاحين أيضاً ... بل حتى السادة . كلهم يعيشون ليجعلوا الحياة افضل مما هي عليه . وكل واحد منهم يظن انه انما يعيش لنفسه ، بينما الواقع انه يعيش لكي يجعل الحياة افضل . يعيشون مائة عام ، وقد يعيشون أطول ، وكل ذلك لكي يجعلوا الحياة افضل » .

(تمنع ناستيا البصر في ساتين . كليش هو

الآخر يتوقف عن العمل في الأكوورديون

ويصفي . تسقط رأس البارون الى صدره

وينقر بأصابعه على المائدة برقة . ينزل

المثل بهدوء من فوق الفرن الى احدى

(المصاطب)

ساتين : « كلهم يا صديقي الطيب ، الى آخر واحد منهم ، يعيشون ليجعلوا الحياة افضل » . هكذا يقول

ساتين : انسها . وانس كل شيء عن عربات جدك . فلن تجديك شيئاً هذه العربات التي أصبحت في خبر كان .

البارون : كيف تجرؤ هذه المرأة ؟
ناستيا : (مستهزئة) هل سمعتم هذا ؟ كيف تجرؤ هذه المرأة ؟

ساتين : ولماذا لا تجرؤ ؟ لماذا تكون هي أخط منك ؟ حتى ولم يكن لديها عربات أبدأ في يوم من الأيام ، ولا جدود ، بل حتى لا أب ولا أم ؟

البارون : (وقد هدا قليلا) فلتذهب الى الشيطان ! أنت دائماً تأخذ الأمور بهدوء . أنا رجل لا أخلاق له .

ساتين : اذن فاحصل على أخلاق . هذه مسألة سهلة (صمت) ناستيا ، هل تذهبن الى المستشفى ؟ لماذا ؟

ساتين : لتري ناتاشا .
ناستيا : أنت متأخر . لقد غادرت المستشفى منذ زمن طويل . غادرته واختفت . ذهبت دون أن تترك أثراً .

ساتين : معنى ذلك . . . أن كلهم ذهبوا .
كليش : يا ترى من الذى سيكون أشد في الكيل للآخر : فاسيا أم فاسيليسا ؟

ناستيا : فاسيليسا ستتخلص بطريقة ما . انها ماهرة ،

(يتناول كليش الأكورديون وينتحي جانبا
يشرف منه على المنظر)

ناستيا : كلام فارغ !
البارون : اخرسى . دستة من الخدم .
ناستيا : (مسرورة) فشار !

البارون : سأقتلك !
ناستيا : (توشك أن تهرب) لم تكن لديك عربة أبدأ !
ساتين : كفى يا ناستيا . لا تجعليه يجن .
البارون : انتظري يا قدرة . كان جدى . . .
ناستيا : ما كان لك جد أبدأ ! ما كان لك شيء بالمرّة !

(ساتين يضحك)
البارون : (يقوص فوق دكة وقد أنهكه الغضب) قل لها

يا ساتين . . . قل لهذه الكلبة . . . أم هل تضحك أنت الآخر ؟ أنت أيضاً لا تصدق ؟
(يصيح في يأس وهو يديق المائدة بقبضتيه)
كل ما قلته صحيح ! عليكم لعنة الله !

ناستيا : (مزهوة) آها ! أنت الآن تنبح ! هه ! هل علمت الآن أنه شيء يبعث على الغيظ اذا لم تجد من يصدقك ؟

كليش : (يعود الى المائدة) كنت واثقاً من نشوب قتال .
التتري : ناس أغبياء ! شيء محزن !

البارون : أنا . . . أنا لا أقبل أن يسخر منى الناس . أنا عندى . . . أستطيع أن أبرهن على ذلك . معى وثائق أيها الشياطين !

ناستيا : تضحك ، هه ؟ تفش نفسك ! أنت لا تعتقد أن هذه
 مسألة مضحكة .
 الممثل : (مكتئباً) ناويلهم !
 ناستيا : آه لو كان في استطاعتي ! اذن ل . . . ل . . .
 (تتناول كأساً وتحطمها على الأرض) لكان هذا
 ما أفعله بك .
 التتري : ولماذا تحطمين الأطباق ؟ امرأة شريرة !
 البارون : (يقف) الآن سأعلمها بعض الأخلاق .
 ناستيا : (تعدو الى الباب) اذهب الى الجحيم .
 ساتين : (يناديها) كفاية ! من تخيفين ؟ علام هذا كله ؟
 ناستيا : ذئاب ! أطلب من الله أن تختنقوا ! ذئاب !
 الممثل : (مكتئباً) آمين !
 التتري : أ . . . وه . امرأة شريرة . . . روسية ! عصبية !
 امرأة على كيفها ! المرأة التترية لا تفعل هذا .
 المرأة التترية تعرف القانون .
 كليش : هي تريد علقة حامية .
 البارون : القدرة !
 كليش : (يجرب الأكورديون) تم اصلاحه . ولكن صاحبه
 لا يأتي ليتسلمه .
 ساتين : خذ كأساً .
 كليش : شكراً . حان وقت النوم .
 ساتين : هل تعودت علينا ؟

ولكنهم سيرسلون قاسيا الى الأشغال الشاقة في
 سيبيريا .
 ساتين : لا ، سيسجن لارتكابه جريمة قتل أثناء مشاجرة .
 ناستيا : مسكين ! يجب أن يبعده . . . أن يبعدهم
 جميعاً . أن يكنسوكم كالزبالة . أن يلقوا بكم في
 مستودع القمامة .
 ساتين : (مندهشاً) ماذا تقولين ؟ هل فقدت عقلك ؟
 البارون : سأقرص أذنهما .
 ناستيا : هيا حاول . المسنى .
 البارون : سأحاول .
 ساتين : لا . لا تلمسها . يجب الا تؤذي الناس . لا أستطيع
 أن أبعدهم العجوز من بالي (يضحك) يجب الا تؤذي
 الناس . طيب ، واذا آذوني هم . . . آذوني أذى
 شديداً لا أبرأ منه ؟ ماذا أفعل عندئذ ؟ هل المفروض
 أن أسامحه ؟ أبداً . لا أسامح أحداً .
 البارون : (الى ناستيا) لا تنسى أنك لست من طبقتي .
 أنت . . . أنت خثالة الأرض .
 ناستيا : أوه ، أنت قملة ! أنت تعيش عائلة على كما تعيش
 الدودة على التفاحة .
 (ينفجر الرجال ضاحكين)
 كليش : آه يا مغفلة ! تفاحة !
 البارون : كيف يستطيع أحد أن يغضب منها ؟ انها بلهاء .

كليش

: (يشرب ، ثم يتجه الى احدى المصاطب في ركن
الغرفة) اظن هذا . سرعان ما يتضح ان البشر
موجودون في كل مكان . ذلك امر لا تلحظه في
البداية ، فاذا القيت نظرة اخرى اذا بك تجدهم ..
بشراً .

(يبسط التتري قطعة قماش فوق
مصطباته ، ثم يبدأ في الصلاة)

البارون : (يشير الى التتري ويخاطب ساتين) انظر الى
هذا .

ساتين : اتركه في حاله . هو رجل طيب . لا تزعجه
(يضحك) لماذا انا طيب القلب اليوم ؟

البارون : انت دائماً تكون طيب القلب عندما تشرب ...
وتكون بارعاً ايضاً .

ساتين : عندما اكون سكران يبدو لي كل شيء في لون الورد .
هو يصلي ؟ حسن . من حق الشخص ان يكون
مؤمناً او لا يكون ، حسبما يشاء . هذا شأنه .
كل شخص حر في اختياره . هو يدفع الثمن
بنفسه : ثمن الايمان ، وعدم الايمان ، والحب ،
والذكاء . كل شخص يدفع ثمن كل شيء بنفسه ،
ولذلك فهو حر . ايها الانسان ... هذا هو الحق !
ما الانسان ؟ لا انت ، ولا انا ، ولا هو . لا . بل
انت وانا وهو والرجل العجوز وناپليون ومحمد ...

كلهم في واحد ! (يرسم شخص رجل في الهواء)
هل فهمت ؟ هذا امر جلل ! هذه حقيقة تتضمن
كل البدايات وكل النهايات . كل الاشياء جزء من
الانسان . كل الاشياء من اجل الانسان . الانسان
هو وحده الكائن . وكل ما عداه هو من صنع
يديه وعقله . ما أروع الانسان ! ما أشد ما في رنين
هذه الكلمة من كبرياء ... الانسان ! لابد ان يكون
الانسان موضع احترام لا موضع شفقة .
فالشفقة مهينة . لابد ان يكون محترماً (يا بارون)
لنشرب نخب الانسان ! (يقف) ما اطيب ان يشعر
الشخص بأنه انسان ! هانذا ... مجرم سابق ، قاتل ،
غشاش ، لاعب قمار ... الى آخره . عندما امشي في
الشارع يظن الناس انني لص . فينتحون جانباً
ويختلسون النظرات الي . وغالباً ما يقولون لي
يا وغد ، يا مزيف ! يقولون لي « اشتغل » .
اشتغل ؟ لماذا ؟ لاملأ معدتي ؟ (يضحك) انا دائماً
امقت هؤلاء الذين يفكرون كثيراً في معداتهم .
ليست المعدة هي كل شيء يا بارون . ابدأ .
الانسان اسمى من ذلك . الانسان اسمى من
معدته .

البارون : (يهز رأسه) براعة منك ان تجهر بهذه الافكار .
لابد ان ذلك يبعث الدفء في قلبك . اما انا ...

فلا أستطيع . لا أدري كيف (يتلفت حوله ويتكلم وهو يلهت) أشعر بالخوف في بعض الأحيان . فاهم ؟ بالخوف . أظن أقول لنفسي . . . ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

ساتين : (يذرع الغرفة) كلام فارغ ! ما الذي يخشاه الانسان ؟

البارون : منذ أن بدأت ذاكرتي تعي ، وأنا أذكر أن رأسي يخيم فيها نوع من الضباب . لم أكن أستطيع أن أفهم شيئاً أبداً . أنا . . . هذا غريب ، ولكن . . . يبدو لي أن كل ما أفعله هو أن أغير ملابسى طول حياتى . لماذا ؟ لا أستطيع أن أعرف . أولاً ، كنت تلميذاً ، فكنت أرتدى الزى الخاص بأبناء النبلاء . ماذا علمونى ؟ لا أتذكر . ثم تزوجت . ارتديت بدلة سهرة ثم الروب . ولكن الزوجة التى اخترتها كانت شريرة . لماذا تزوجتها ؟ لا أتذكر . ثم بددت كل ثروتى . . . لبست چاكتة رمادية وبنطلوناً باهتاً . كيف فقدت كل شيء ؟ لا أتذكر . واشتغلت فى الحكومة . زى رسمى من جديد ، وقبعة عليها الشارة الحكومية . واختلست أموال الحكومة فلبست ملابس السجن . وبعد ذلك لبست هذه الخرق . هذا كل ما فى الأمر . كالحلم ، هه ؟ بل هى حتى مسألة مضحكة .

ساتين : ليست مضحكة جداً . بل هى سخيفة أكثر منها مضحكة .

البارون : هى كذلك . أنا أيضاً أظنها سخيفة . مهما تكن الحال ، فلا بد أن أكون قد ولدت لغرض .

ساتين : (فى ضحكة قصيرة) لا بد . « يولد الانسان ليحيا الحياة أفضل » (يومئ برأسه) كلام طيب .

البارون : هذه الملعونة ناستيا ! الى أين هربت ؟ سأذهب لأرى . مهما تكن الحال ، فهى . . . (يخرج . صمت)

الممثل : يا تترى ! (صمت) يا حسن !
(يدير التترى رأسه)

الممثل : أدع لى .

التترى : ماذا ؟

الممثل : (فى رجاء) ادع لى .

التترى : (بعد صمت) ادع أنت لنفسك .

الممثل : (يهبط بسرعة من فوق الفرن ، ويتجه نحو المائدة ، ويصب لنفسه كأساً من القودكا بيدين مرتعشتين . ثم يبتلع الكأس ويخرج الى الردهة وهو يكاد يجرى) أنا راحل !

ساتين : هيه . . . أنت ! يا ممثل العصر ! الى أين تذهب ؟ (صفير . يدخل بينوف وميدفيدف .

الأخير يرتدى چاكتة نسائية مبطنه

بالقطن . كلاهما فى حالة سكر خفيف .

يحمل بينوف فى احدى يديه خيطاً به

**سميط جاف ، وفي اليد الأخرى
سمكتان مدختان . تحت ابطه زجاجة
قودكا ، بينما تبرز زجاجة أخرى من
جيب معطفه)**

- ميدفيديف : الجمل شبيه بالحمار ، الا أنه بدون أذنين .
بينوف : أنت نفسك شبيه بالحمار .
ميدفيديف : الجمل لا آذان له أبداً . فهو يسمع بأنفه .
بينوف : (الى ساتين) أنت هنا يا صديقى . لقد بحثت
عنك فى البارات . خذ هذه الزجاجة . كل أيادى
مشغولة .
ساتين : ضع هذا السميظ على المائدة حتى تخلو احدى
يديك .
بينوف : صحيح ! أنظر اليه . نبيه ، هه ؟
ميدفيديف : كل الفشاشين يمتازون بالنباهة . لا يمكن أن
يعيشوا اذا لم يكونوا كذلك . يستطيع الرجل
الطيب أن يكون غيباً ، أما الشرير فلا بد أن يكون
نبيهاً . ولكن اسمع ... كل ما قلته عن الجمل
خطأ . الجمل دابة من دواب الحمل . لا قرون
له ، ولا أسنان ...
بينوف : أين الناس ؟ لماذا لا أرى احداً هنا ؟ هيه ...
اظهروا . أنا الذى سأحتفل بكم . من هذا الذى
فى الركن ؟

- ساتين : كم من الزمن سيمضى قبل أن تصرف فى الخمر
آخر كوپك ، أنت يا خيال الماتة ؟
بينوف : زمن غير طويل . فان ما ادخرته فى هذه المرة ليس
كثيراً . زوب ! أين زوب ؟
كليش : (ياتى الى المائدة) رحل .
بينوف : جرررر ! أنت ياكلب ! هاو ! هاو ! لا نباح . اشرب
يا غبى . لا تقف هكذا معلق الرأس . سأحتفل
بكم الليلة . كم احب هذا ! لو كنت غنياً ، لفتحت
باراً وقدمت المشروبات مجاناً . أقسم لكم بالله !
مع الموسيقى والغناء . ولكنك دعوت الجميع للأكل
والشرب والاستمتاع بالموسيقى حتى تطمئن
نفوسكم وتهدا . لا نقود معكم ؟ اذن فاليكم البار
المجانى . أما أنت يا ساتين ... كنت أعطيك
فوق كل هذا نصف ما معى من نقود . هذا
ما كنت أفعله .
ساتين : بل أعطنى نقودك كلها ... الآن ... فى هذه
اللحظة .
بينوف : كل ما معى ؟ فى هذه اللحظة ! هاه ! هذه هى ...
روبل ... اثنان ... عشرون كوپك ...
ساتين : كفاية . انها معى فى أمان . سأقامر بها .
ميدفيديف : أنا شاهد على أنه اخذ هذا المال لحفظه وديعة .
كم ؟

ميدفيديف : هذا كذب . انها لا تحتضر . كل ما حدث انها
اختفت .

(يضحك ساتين)

بينوف : وما الفرق ؟ اذا فقدت ابنتي . اختك لم تعد خلا .
اليوشكا : (يغنى) .

الست معاها فلوس

وانا مفلس خالص

وانا برده مبسوط

وشايف كيفي خالص .

لعنة الله على هذا البرد !

(يدخل كريفوى زوب . وفي خلال

ما بقى من الفصل يدخل رجال

ونساء آخرون . يخلعون ملابسهم

ويرقدون متضجرين على المصاطب)

زوب : لماذا هربت يا بينوف ؟

بينوف : تعال هنا . اجلس ولنغن . اغنيتي المفضلة ،
هه ؟

التتري : لا بد ان ننام بالليل . الغناء بالنهار .

ساتين : لا بأس يا حسن . تعال هنا .

التتري : ماذا تعنى بقولك لا بأس ؟ هذه ضجة . عندما

تفنون تحدثون ضجة كبيرة .

بينوف : (يتجه نحوه) كيف ذراعك يا حسن ؟ هل

بتروها ؟

بينوف : انت ؟ انت جمل . لسنا في حاجة الى شهود .

اليوشكا : (يدخل حافي القدمين) يا جماعة . قدماي
مبلولتان .

بينوف : تعال . بل زورك . هذا كل ما انت في حاجة اليه .

غناؤك وعزفك لا بأس بهما يا عزيزي . أما شريك

... فهذا به بأس . هذا مضر يا أخى . الشرب

مضر .

اليوشكا : انت قدوة طيبة . فانت لاتبدو ابدأ انساناً الا

عندما تكون سكران . كليش ! هل الاكورديون

جاهز ؟

(يغنى ويرقص)

لو كان وشى وحش

زى وش القملة

ما كانت حبيبتى

حبتنى ولا ليلة .

انا بردان يا اخوانى . انا أتجمد .

ميدفيديف : هل تسمح لى ان اسألك اين حبيبتك ؟

بينوف : دعه وحده . كن في حالك انت . انت لست الان

شرطياً ، لا شرطياً ولا خلا .

اليوشكا : انما انت زوج الخالة .

بينوف : احدى بنات اختك في السجن ، والأخرى تحتضر .

التري : لماذا؟ سأنتظر . فقد لا تستدعى الحاجة قطعها .
ليست ذراعى من الحديد الخردة . ستقطع بسهولة عندما يجيىء الوقت .

زوب : أنت انتهيت يا حسن . لم تعد تصلح لشيء بذراع واحدة . فان أمثالنا من الناس تقدر قيمتهم بقيمة أذرعهم وظهورهم . لا ذراع ، لا رجل . انتهى . هيا ، اشرب كأساً وانس كل شيء .

كفاشنيا : (داخلا) سعيدة يا اخوان . ياله من جو ! برد ووحل . هل زوجى الشرطى هنا ؟

ميدفيدف : أنا هنا .

كفاشنيا : آه . لقد أخذت چاكتتى مرة أخرى . ويظهر أنك شربت كأساً أو اثنين ، هه ؟ لماذا فعلت ذلك ؟

ميدفيدف : بمناسبة عيد ميلاد بينوف . . . والبرد . . . والوحل . . .

كفاشنيا : امش على مهلك . الوحل ! لا تترنح كالقرد . هيا الى السرير .

ميدفيدف : (متجها الى المطبخ) أنا فعلا فى حاجة الى النوم . حان الوقت .

ساتين : ألسنت تعاملينه معاملة شديدة ؟

كفاشنيا : هذه هى الطريقة الوحيدة يا صديقى . لابد من الحزم مع رجل كهذا . عندما أخذته ليعيش معى قلت لنفسى : لعلى أجد فيه بعض الخير ، فهو من

رجال الشرطة وأنتم مجموعة من السكرين ، وأنا امرأة مسكينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولكنه بدأ فى الشرب على الفور . لا يمكن ان اقبل شيئاً كهذا .

ساتين : جبتك يا عبد المعين تعيننى . . .

كفاشنيا : لم أجد رجلا افضل منه . فانت ما كنت لتعيش معى . . . وانت نفسك كبيرة هكذا . وحتى اذا عشت معى ، فلم يكن ذلك ليدوم اكثر من أسبوع . كنت ستلعب بى القمار فتخسرنى أنا وكل ما أملك .

ساتين : (ضاحكا) أنت على حق يا امرأة . كنت أخسرك فى القمار بدون شك .

كفاشنيا : هل رأيت ؟ اليوشكا !

اليوشكا : أنا هنا .

كفاشنيا : ما هذه الاشاعات التى تطلقها عنى ؟

اليوشكا : ما هى الا الحقيقة . قلت له لقد تزوجت امرأة عظيمة . امرأة هائلة . كتلة من اللحم والشحم والعظم بدون مخ .

كفاشنيا : هذا كذب . أنا مخى كبير جداً . ولكن لماذا قلت

انى ضربت زوجى الشرطى ؟

اليوشكا : ظننت أنك لابد أن تكونى ضربته علقه يوم أن

جرجرته من شعره .

الأغنية ... أغنيتي المفضلة . سأغني ... بأعلى صوتي ...
زوب : (يغني) .

كل يوم الشمس تظهر
بينوف : (ينضم اليه) .

وزنزانتي كئيبة وسودة
(على حين فجأة يفتح الباب بعنف)
البارون : (يصيح وهو بالباب) هيه يا جماعة ! تعالوا .
تعالوا بسرعة . الممثل شقق نفسه . هناك في الأرض الفضاء .

(سكون . ينظر الجميع الى البارون . تظهر ناستيا خلفه وتمشي على مهل نحو المائدة وقد اتسعت عيناها)
ساتين : (بصوت منخفض) تك ! أفسد الأغنية ، هذا الأحمق !

ستار الختام

كفاشنيا (ضاحكة) أحمق ! كان يجب أن تتظاهر بأنك لم تر شيئاً . لماذا ينشر الانسان غسيله القدر حتى يراه كل الناس ؟ ثم انك جرحت احساسه . لقد أدمن الخمر بسبب كلامكم هذا .

اليوشكا : هذا مصداق المثل : حتى الفراخ تشرب .

(ساتين وكليش يضحكان)

كفاشنيا : ما أطول لسانك ! أي نوع من الناس أنت يا أليوشكا ؟

اليوشكا : أحسن واحد في الدنيا ! أنا أجرب كل شيء ، وأمشي وراء أنفي أينما مشيت .

بينوف : (بجانب مصطبة التتري) تعال . لن نعطيك فرصة لتنام على أي حال . سنغني طول الليل .

زوب : (بجانب)
زوب : نغني ؟ ولماذا لا ؟

اليوشكا : وسأعزف لكم .
ساتين : سنرى كيف .

التتري : (مبتسماً) يا شيطان بينو ، هات الخمر . سنشرب . ونقضي وقتاً طيباً . سنموت يوماً ما .

بينوف : املاً كأسه يا ساتين ! اجلس يا زوب ! ليس كثيراً هذا الذي يطلبه زميل لكم يا أصدقائي . هأنذا والخمر في جوفي ، أسعد ما أكون . زوب ، ابدأ